رواء في زمن الجرب



اسم الكتاب: رواء في زمن الجدب

التأليف: محمد عطية - وصال تقة - كمال اليماني

موضوع الكتاب: أدب اجتماعي

عدد الصفحات: 216 صفحة

عدد الملازم: 13.5 ملزمة

مقاس الكتاب: 14 × 20

عدد الطبعات: الطبعة الأولى

رقم الإيداع: 259 / 2016

الترقيم الدولي: ISBN : 978 - 977 - 278 - 535 - 3

1437 هـ
2016م

التوزيع والنشر

دار البشير للثقافة والعلوم

Darelbasheer@hotmail.com

Darelbasheeralla@gmail.com

ت: 0115280653 - 01012355714



رواء في زمن الجدب

محمد عطية

وصال تقة

كمال اليماني

دار البشير
للثقافة والعلوم



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده..وبعد..

فهذا (رواء في زمن الجدب).. رواء لم تجُد به سحب سادرة في سماء الخيال، ولا استوحته من أفانين الأماني فكانت مشاعر الأبوة عندها مجرد آمال، بل هي حروف نزفتها قلوبهم راجين أن يغير المقال- بكرم ربهم- واقع الحال.

تقرأ في هذا الكتاب لأب يخاطب فلذته، ولأم تناصح ريحانتها.. تقرأ لزراع حب يرون نبتتهم وهي تستوي على ساقها مع مر الأيام، ولا يسعهم إلا موالاتها بـ(رواء) النصح وندى الدعوات.

أرادوا نشرها لتعم، فلعل القبول يكتب لها، وهو من الله مأمول.. وما أسعدهم ساعتها بالثمار في أولادهم وأولادك وأولاد المسلمين ناضجة تقر بها العيون في الدارين.

وإن كان الزمان مجدبًا، فتبقى هذه النسمات الطاهرة في حياتنا من أسرار الله.. لولاهم لم نمطر بالرحمات.. لولاهم لَمَا تحرك هذا الشيء الكامن في أعماقنا ناطقًا بـ(رواء) تحتاجه نفوسنا العطشى قبلهم!

من وحي النظرة

أبو أنس السليمان..محمد عطية

إهداء

إهداء لك يا من أحيت فيّ نظراتك ما لا أعرف كنهه،

وإهداء لأولادك- بإذن الله- علهم يحيون فيك؛ ما أحييته في أبيك!

وإهداء لكل أب وأم، ومن ينتظر.

جولة في عالم النقاء،

اربطوا أحزمة التأمل على مقاعد الحب،

رحلة سعيدة.

محمد عطية

أبو أنس السليمان

من وحي النظرة

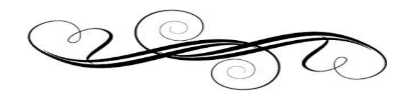
أنظر في وجهك يا ولدي؛ لأتعلم أعمقَ المعاني من ملامحك البريئة، ضحكتك صادقة لا تجامل، ودمعتك حارة لا تتملق.

مَن ارتحتَ لطلَّتِهِ تهش له كحبيبٍ تلقاه بعد غياب، ومن لم تألفه صرخت في وجهه كأنما رأيتَ شبحًا أخافك.

لا تفرق في ذلك بين قريب أو بعيد، بين غني أو فقير؛ فأنت فقط تطيع قلبك دون أي حسابات أو اعتبارات.

لكن دنيانا يا ولدي ليست هكذا، قد تضطر لبسمة باهتة وقلبك حزين- سلم الله أيامك من الهم والغم-، قد تضطر لبشاشة مجاملة لسمج ثقيل!

لا، لا تخطئ فهمي، ليس نفاقًا يا ولدي، لكنها الدنيا!



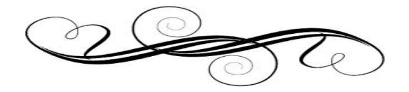
من وحي النظرة (٢)

ها أنت نائم يا ولدي، تتوسد الرضا وتلتحف السكينة، ممدد يديك، كأنما تبرأ إلى الله من آفات دنيانا، حضن أمك هو كنزك الأغلى، لا ترضى به بدلًا ولو نزل البدر من عليائه ليكون لك مهدًا، لله دَرُّ قناعتك.

يا لعجبي منك.. تنام هكذا في هدوء محلقًا في عالم روحك دون أي ارتباط بعالمنا الأرضي، إنك لم تسألني حتى هل بقية الحليب في علبتي ستكفيني غدًا؟! ومن أين سنأتي بالثانية؟!. أما يشغلك قوتك؟! أما تتقلب مثلنا على فراش الأرق مشغولًا بغد لم يأت بعد؟!

إيييه. اعذرني يا ولدي، نسيت أنك لا تلقي بالًا لهذه الحسابات التي نغصت حياتنا.

خرجت من رحم أمك بيقين واحد لا تلتفت لغيره: (مادام أنه خلقني، فقد تكفل برزقي)، ليتك تثبت عليها يا ولدي حياتك كلها، ليتك لا تتلطخ بحساباتنا الأرضية.



من وحي النظرة (٣)

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾

أوضحُ تفسير لهذه الآية عندي، في نظرتي إليك يا ولدي، يا لله ما أضعف قوتك، وأقل حيلتك

إنك لا تستطيع تناول طعام بين يديك وأنت تتضور جوعًا، فتبكي!

إنك تمد يدك لشمعة جذبك لونها، وما عرفت معنى لهبها، فتبكي!

إنك يا ولدي أسهرتَ أعيننا ليلة إلا قليلًا تبكي بكاءَ صَبٍّ أرَّقَتْهُ مرارةُ الفراق، لكن لسانه عاجز عن البيان، فلا هو أراح نفسه ببث همه، ولا هو قادر على دفع ما أهمه.

أتدري ما الذي فعل بك وبنا كل ذلك؟!؛ إنها نملة ضعيفة تدب على جسدك الرقيق يا ولدي! ليس العجب من أين أتتك، بقدر العجب من ضعفك عن ردها عن نفسك!

لكن.. أتدري يا ولدي، مع كل ضعفك وعجزك عن نفع نفسك؛ أنت أفضل منا، أفضل بكثيييير!

أنت تبوء لربك بضعفك، مفوض مستسلم لأمره، لست من الدنيا وآفاتها في شيء، ولذا تغشاك من الله رحمته، وتحيطك عنايته.

يا ولدي إن القطر ينزل بعد رحمة الله لوجودك وأقرانك في دنيانا، لولاكم ما بكت السماء يومًا لقحط الأرض. أنتم يا ولدي أصل الحياة، وسر نقائها.

هل تدري أننا بعقولنا الناضجة التي بيّن لها ربها الصالح من الفاسد؛ كثيرًا ما نضعف أمام مهلكة تشتهيها نفس أمارة بالسوء، نتوب ونعزم على عدم العود، ثم نضعف مرة أخرى! كثير منا يوقن بحرمة ما يفعل، ورغم ذلك يتبجح بأنه ضعيف! لِمَ تضحك يا ولدي.. تسخر منا؟! ألم أخبرك بأنك أفضل!

ضعفك مغلف بالبراءة، مغشو بالرحمة والعناية، أما ضعفنا فمتوار خلف السواعد المفتولة والأجسام الممشوقة! ضعفنا فيه وقاحة وجرأة ونسيان، أو قل تناسٍ!

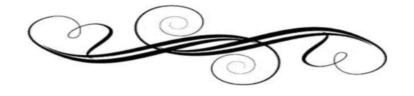
فهذا المدلّ على الناس بعلمه يتناسى أنه كان يومًا لا يفرق بين الجمرة والتمرة والبعرة!

وهذا المتكبر المتعالي، المتجبر بسطوته يتناسى أنه كان يفزع من صوت عصفور على الشجرة المجاورة، فلا ينقطع بكاؤه إلا في حضن أمه!

وهذه المزهوة بجمالها؛ تبغي الفتنة ما امتثلت أمر ربها، تتناسى أنها كانت يومًا تنتظر رحمة الله في قلب أمها لتنظفها وترعاها، ولولا ذلك لكانت كتلة من أشياء قبيحة!

يا معشر البشر، ستظل مسحة من ضعف طفولي تلازمكم وإن نسيتم، تسكنكم وإن تنكرتم، تلاحقكم وإن نبتت لكم شوارب أو طالت لكن ذوائب!

إن كنا ننسى فأعيذك بالله يا ولدي أن تنسى أنت يومًا.



من وحي النظرة (4)

(لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم)

وقفت مع هذا الحديث يا أنس، والذي رواه سيدنا أنس يرفعه للنبي ﷺ.

نعم يا ولدي سميتك على اسمه تيمنًا أن تخدم سنة نبيك كما خدم أنس نبينا ﷺ،

فنعم المخدوم ونعم الخادم.

ذهبوا إليه في زمن الحَجَّاج يشتكون، فأجابهم بهذا الحديث مُصَبِّرًا لهم، مبينًا سنة لله في خلقه، وكأني بهم يتحسرون في أنفسهم سائلين: وأي شر سيأتي أَمَرُّ من بطش الحجاج وظلمه؟! لم يدروا يا ولدي أنه جاء من بعد الحجاج من يبكي الحجاج نفسه شفقة واستنكارًا لو رأى ظلم فعالهم!

طوال يوم كامل وهذا الحديث مسيطر على خاطري يا ولدي، ترى كيف يكون زمانكم؟! وهل هناك شر أشر مما وصلنا إليه؟!

لا. لن أصف لك ما وصلنا إليه، لا تطاوعني نفسي أن ألوث عالمك البريء الذي لا تعرف فيه أكثر من حضن أمك وقت نومك، وعلبة الحليب على الرف تنظر إليها وقت جوعك، و(طيور الجنة) تنسجم معها وقت لهوك!

أظنك لو تعلم حقيقة دنيانا لرجوت أن تظل في عالمك النقي لا تكبر، أو ترجع حتى لرحم أمك لا تخرج!

وما هذا ولا ذاك ممكنًا، فستمشيها خطى كتبت عليك، وتحياها أيامًا قدرت في الأزل يا ولدي.

"كان زماااان..." لطالما تعودت سماع هذه الكلمة من جدك وجدتك، ممزوجة بتنهيدة عميقة تبحث عن بركة زمان، وبساطة ونقاء أيام زمان، وطيبة وتآلف أهل زمان. تحكي جدتك لمَّا كان جنيه واحد يكفي لتسويقة تُغْني البيتَ أسبوعًا، شاملة كيلو من اللحم الطازج! ويحكي جدك عن بركة اليوم الذي كان يكفي لأعمال قد نحتاج نحن الآن أسبوعًا لإنجازها!

يحكون عن طعم الفاكهة الطبيعي، ورائحتها التي كانت تملأ البيت وقت أكلها، ويتعجبون من مشمش أيامنا الذي صار بطعم الخيار!

يحكون ويحكون.. يشتاقون ويتعجبون.. وما ظننت أبدًا يا ولدي أنه سيأتي اليوم الذي أتنهد أنا فيه تلك التنهيدة العميقة لمَّا أفكر في أن جدتك ظلت ثلاثة عشر عامًا لا تملك ثلاجة، ومع ذلك لا أذكر أبدًا أنه فسد لدينا حبة فاكهة أو خضار، وأمك اليوم تخرج من ثلاجتها الحديثة ما فسد منها في اليوم التالي للشراء!

لمَّا أذكر يوم كنت أنتظر مع عمك بشوق فترة الأطفال في التاسعة صباحًا على القناة الأولى بعد قرآن الافتتاح، والتي تمتد لنصف ساعة

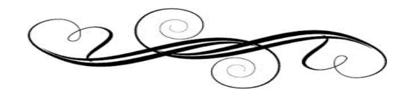
نفرغ بعدها لمراجعتنا وحفظنا ومطالعتنا ولهونا الذي ينشط أجسامنا، ثم أتنهد وأنا أرى قنوات أفردت للكرتون التهمت يوم جيلكم كله إلا قليلاً، ثم نشكو من انطواء وخمول كثير من الأطفال!

أتساءل يا ولدي هل يقنع (كابتن ماجد) الذي كان يقضي حلقتين في الهواء ليستلم الكرة ويسددها ومع ذلك تخلو الشوارع وقت عرضه من أطفال جيلنا، هل يقنع جيل (سبونچ بوب) و (بن تن)؟!

هل يرضي (البلي) الذي كان غاية التطور في لهونا جيل (الآيباد) و (البلاي ستيشن)؟! إني أسمع الآن من طلاب ثالث ابتدائي كلامًا والله ما عقلته إلا في ثالث إعدادي، ويا ليته في الخير!

نعم يا ولدي، إني مشفق خائف؛ علام نحن مقدمون، هل ستشتاقون أنتم لأيامنا هذه، أنبكي منها اليوم وغدًا تبكون عليها يا ولدي، كيف ستكون أيامكم يا ولدي؟!

يحفظك الله يا أنس، وأبناء المسلمين.



من وحي النظرة (٥)

لم أكن يومًا يا ولدي مجيدًا للغة العيون، ولا متلقيًا لوحي النظرات، ما كنت أعرف لغة إلا مشافهة بلسان أو قراءة لمكتوب، أما ترجمة النظرات وحديث العبرات فأنت من علَّمنيه. لا أنكر أن أول كلمة قرأتها في عين؛ كانت كلمة الحب في عين أمك، يوم تحجر لسانها حياء لما ساررتها بها خلسة عن المهنئين يوم عقد زواجنا!

كانت فرحتي يومها مضاعفة؛ أن من الله علي بقلب يحبني كما أحبه، ثم أني استطعت قراءة لغة ما عرفتها إلا في كتابات شيخنا الرافعي، لم أدر يومها يا ولدي أني سأتقن هذه اللغة على يديك، أتقنتها في أصدق معانيها وأوضح تعابيرها، صرختك الأولى التي استقبلت بها الدنيا، كانت مفجرة لشيء بداخلي لا أدري حتى الآن ما هو؟!

إنه يا ولدي أكبر من مجرد شعور بالأبوة، وأعمق من مجرد نشوة فرح. أحسست بثورة في كياني تسقط نظامًا تعودته في الحياة، وأقامت حكمًا جديدًا مسيطرًا على نظرتي لأدق التفاصيل.

أتدري يا ولدي؛ كم كنت أحتاجك؟!

لما التقت عيوننا أول مرة، لمحت في عينيك بقايا مشاهد من عالم الملائكة؛ فقد كنت حديث عهد بربك كما الغيث الطاهر.

لمحت يا ولدي نورًا أراني النور، غرست مع أول لمسة بداخلي بذرة رحمة، لازلت ترويها أنت مع الأيام، قالوا لي فرحين "يتربى في عزك"، وما درَوْا أنك من تربيني يا ولدي!

لحظات خارج نطاق الزمن تلك التي تطوق فيها ذراعاك الصغيرتان رقبتي، ثم تجذباني نحوك كأنما تريد أن تسر إلي بأمر، شعور لا يحد بوصف لما تعبث كفك الرقيقة بلحيتي ثم تقبض عليها كأنما تسدي إلي نصيحة، يفهمها كلانا فقط!

أبهى منظر أراه في حياتي، ساعة تلتفت في شوق عندما تسمع صوتي بالتسليم داخلًا ثم تهديني ابتسامة يكاد قلبي يقف من روعتها!

أعذب صوت في أذني، صوت مناغاتك وأنت تلهو بلعبك التي بالكاد تحملها يدك الضعيفة، وإن سقطت تصرخ فيها كأنما تتوعدها بعقاب أليم، الذي لا يجاوز أن يكون عضة من لثتك الحانية بلا أسنان!

يقولون في المثل "اللي ما ربهوش أبوه وأمه، تربيه الأيام"، قلت أنا "اللي ما ربهوش أبوه وأمه، تربيه فطرة صغاره"!!

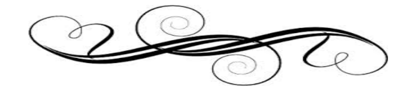
يا معشر الآباء والأمهات تعلموا من فطرة أولادكم النقية، قبل أن يتلوثوا بآفات دنياكم، حفظ الله ذرارينا من آفات دنيانا.

تسيطر علي اللحظة يا ولدي صورة ذلك الرجل، الذي وقف ودموعه تقطر من لحيته مبللة إحرامه الأبيض كوجهه، مقاطعًا موعظتي لوفد الرحمن يوم عرفة، وهو يقول بصوت يخلع القلب "أسألك بالله يا شيخ تدعي الله يرضيني بالذرية، لي خمس عشرة سنة منتظر..منتظر..".

ثم انقطع صوته وسط بكائه، وبكاء الحجاج من حوله، رفعت يدي باكيًا ودعوت الله بأن يرزقه ذرية تقر بها عينه، هو وسائر من حرم الذرية من المسلمين، وارتج المخيم كله بالتأمين، حتى ظننت أشجار عرفات وأحجار الوادي تدعو معنا، وإني لأطمع في الكريم الذي تجلى على ضيوفه يومها؛ بأن الرجل الآن ينعم بذريته.

بكيت يومها يا ولدي شفقة على الرجل، وتأثرًا ببكائه، وبهيبة الموقف لما ارتفعت هذه الأيادي المتجردة من كل مظاهر الدنيا وزيفها في لحظة صدق قد لا تتكرر في غير هذا المكان، أما الآن فكلما ذكرت هذا الرجل!...

سامحني يا ولدي، بللتك دموعي.



من وحي النظرة (٦)

لا تستغرب أني لم أعد أكثر النظر في عينيك؛ فالحقيقة أني صرت أغار منك يا ولدي! لم يثر غيرتي أنك أصبحت الرجل الأول، صاحب الكلمة المسموعة في البيت (وإن أنكرت أمك ذلك حفاظًا على مشاعري)؛ فأنت الآن من تحدد برضاك موعد نومنا وطعامنا بل وقراءتنا أو حتى مطالعتنا للفيس بوك!

بكاؤك يعلن حالة الطوارئ، نسارع لإرضائك ودفع ما أغضبك، متى طلبت أمك كانت عند قدميك ملبية، منتظرة إذنك لها بتقديم الطعام لأبيك القادم من عمله وقد تضور جوعًا!

لم يثر كل ذلك غيرتي يا ولدي كما كانوا يحذرونني دائمًا، وينصحونني بتقبل الأمر الواقع؛ فعهد تفردي بالكلمة في البيت قد ولى مع أول صرخة استقبلت بها الدنيا!

أتفهم ذلك تمامًا يا ولدي إلى حين، فلا تقلق. كذا فعلنا بآبائنا، وكذا سيفعل بك أولادك- أمد الله في عمرك على طاعته-.

ألمح التساؤل في عينيك، ما الذي أثار غيرتك إذًا يا أبي؟!

إنها صحيفتك، صحيفتك البيضاء يا ولدي!، أتذكر يوم خلوت بك في ساعة رضاك التي اختطفتها أمك لتقرأ وردها، وتركتنا سويًا؟! يومها تعجبتَ من دموعي وأنا أغض طرفي حياءً بين يديك، ومددت يدك الرقيقة لتجذبني من لحيتي متسائلًا: مالك يا أبي؟! تخيلت ساعتها يا ولدي فجأة أننا نقف سويًا بين يدي الله- بارك الله عمرك، وأطاله على طاعته-، تُرى من يكون أقربنا للنجاة يا ولدي؟!

نعم، لي صلاة وصيام وحج وقرآن، لكن لي نية مدخولة لا أضمنها، ولي قلب أصابته الدنيا بسهامها، ولي عين بها خيانة وجرأة، صارت لا تستطيع مقاومة الطهر والنقاء في عينيك، فتغض الطرف في استحياء.

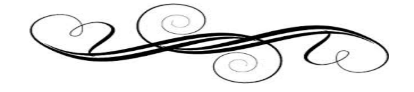
أنت يا ولدي الآن أبلغ واعظ في حياتي وإن لم تُجِد النطق بعد، ما أنظر إليك إلا وأجد باعثًا للتوبة والاستغفار بداخلي، لعلي أحصِّل شيئًا من نقاء نظرتك التي تحمل بقايا مشاهد من عالم الملائكة، فهمت الآن لم كانت ابنة عبد الوهاب المسيري سببًا في تغيير مجرى حياته، من ظلمات المادية إلى نور الروحانية يوم ولادتها.

فهمت الآن لم كانت مجرد نظرة أقرانك سببًا في توبة كثير من آبائهم، أنتم ممثلو الفطرة النقية في حياتنا يا ولدي، أنتم الوعاظ بنظراتهم دون النطق بحرف، أنتم رسائل حية تدعونا لإعادة حساباتنا دومًا، لي صحيفة يا ولدي تعج بغدرات وفجرات، فأين أنا من صحيفتك البيضاء التي لم يجر

عليها قلم؟!

في هذا المشهد بين يدي الله أيقنت أني سأطلب شفاعتك لعلها مقبولة عن أعمالي المنقوصة؛ عرفت سبب بكائي؟!

استغفر لأبيك يا ولدي، استغفر لأبيك.



من وحي النظرة (٧)

وبينما أقلب بعض أوراقي القديمة يا ولدي؛ قفزت أمامي صورة هذا الرضيع مخترقة حاجز النسيان، مسافرة بروحي كآلة الزمن للوراء، فلا تعجب من وجومي؛ فأبوك يتلقى الآن وحيًا من نظرته ونظرتك!

يا للعجب، هذا الطفل يشبهك إلى حد كبير، نفس القوة الكامنة في تمام الضعف، ونفس النظرة النقية التي تحمل بقايا مشاهد من عالم الملائكة!

جلست بينكما كطالب حريص في مجلس علم، أو كخاشع بللت دموعه الأرض في مجلس وعظ.

متحررًا من قوانين الدنيا، متجاوزًا حدود الزمن، جلست بينكما يا ولدي متأملًا أو إن شئت فقل: مستمعًا لحديث غير منطوق، نظرته فيها حنين، ونظرتك هي الأمل، نظرته تصرخ في أعماقي: انظر كيف كنت، فتواضع، ونظرتك تهمس في كياني: تأمل كيف أصبحت، فاشكر.

وتسافر بي نظرته لتتركني أمامك جسدًا حلقت روحه في أثير الذكريات، فاستأذن أمك بالنيابة عني في هذه السفرة الطارئة، التي لن أحزم فيها أمتعة، أو أقطع من أجلها تذكرة!

سفرة استلال مشاهد، ودهشة تساؤل كيف فقد هذا الصغير نظرته البريئة في غياهب الدنيا؟!

ها هو مكب على مصحفه؛ فأبوه يعود من عمله ليسأله أول ما يسأل عن حفظ (اللوح) ومراجعة الجزء اليومي، يا لروعة الفرحة في عينيه حين يكافئه أبوه مع استلامه الراتب بقرطاس (كيمو) اشتراه من المدينة وتركه في ثلاجة البقال المجاور ليأخذه بعد الغداء!

ويكبر الصغير قليلًا، وفي لحظة هي الفاصلة في حياته يجد هاتفًا بداخله:" لن أترك من اليوم ركعة، وحين أكبر سألتزم السنة كما علمنا شيخي"، إنه يحيا حتى الآن بقوة هذه اللحظة، إنه لا يدري كنهها ولا يجد توصيفًا لهذا النداء العلوي الذي سرى صداه في كيانه حينها.

كلما ذكرها غض طرفه حياءً من ربه؛ لولا تلك اللحظة ما كان ليجدي معه نصح أبيه ولا تعليم شيخه، الذي لم يمل من سؤاله عن صلاته يومًا.

كان الصغير ضعيفًا- ولم يزل- أمام عيني شيخه، فلا يسعه إلا الاعتراف وتحمل حفلة العقاب الجماعي للحفاظ الصغار المفرطين في الصلاة!

لا ينسى يوم سألته ابنة عمه ذات العشرة أعوام وبدون مقدمات: "صليت العصر؟" ويتلعثم مجيبًا:

- آه طبعًا

- كدااااب، العصر لسه مأذنش أصلًا!!

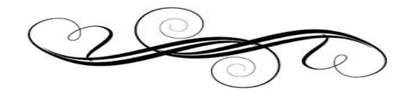
أطلقتها بثقة مع ذلك الوميض الساحر في عين الطفولة المرحة، ويذهل الصغير عن الجواب، وتحار عيناه ويغادر مجلس العائلة ململمًا ما تبقى من نفسه.

ضحك الجميع ساعتها، لكن الصغير تفجرت في نفسه تساؤلات بريئة لم يخطر بباله أنها ستغير مجرى حياته!

وتدور الأيام دورتها ويقف مع ابنة عمه تلك أمام بيت الله الحرام في لحظة تماه في جلال القدسية، وتحليق في أجواء السكينة، وشعور بساعة استجابة: "اللهم ارزقنا ذرية صالحة"..

ولم يمر عام حتى وضعتك، نورت حياتنا يا "دعوة الكعبة"، كلهم انتظروك بشوق، وانتظرتك بشوق آخر؛ شوق لفطرة ذاك الصغير النقية التي أحييتها في، بعد أن لوثتها آفات الدنيا. شوق لأن أرى نور الحقيقة في عينك البريئة.

لقد تغير الصغير كثيرًا يا ولدي، ضاعت منه- ويا للأسف- تلك النظرة، وها هو جالس أمامك يبحث عنها في وحي نظرتك!



من وحي النظرة (٨)

«أمك، ثم أمك، ثم أمك“

لو رأيت هذه الفتاة المدللة يا ولدي، وحيدة أبيها وأمها، ريحانة بيتهم وبهجة أركانه، لو رأيت الدموع في عيني والدها وشهقة الفرح في صدر أمها وهما يريان فلذة الكبد تزف لرجل سيكون أولى بها منهما!

ويقرأ الزوج شريط الذكريات في عين الوالد، وثبات الطفولة، وضوضاء المرح، لحظات النجاح، ودموع الفخر، دعوات الستر، وأداء الأمانة، يا للوالد الذي يستيقظ في الصباح الأول ليدخل غرفتها، لا يسمع ذلك الصوت العذب يترنم بالأذكار والورد القرآني.

لم يرَ تلك البسمة النقية تسري في وجدانه وهو يطلب فطوره ويعرض عليها أن تشاركه فيه، يحاول التجلد وهو يسمع صدى الحنين متسائلًا: أهكذا صارت نوَّارة البيت ضيفة تأتيه زائرة فقط؟!

ويقلب نظره في الجدران تزينت بملصقات الأذكار التي كتبتها بيديها، ويمسح عليها كأنما يواسيها أو يتلمس آثارها على تلك الجدران!

يطمئن قلبه للزوج الذي تعهد بحفظ الأمانة، وشكر النعمة، ويمسح

دموع الذكريات ليستقبل بسمة انتظار لصرخة السبط الأول تعيد الدفء لبيتهم من جديد.

وصار الكل رهن إشارتك يا ولدي، وصارت هذه الفتاة المدللة مؤتمرة بأمرك دون غيرك، حريصة على راحتك قبل من سواك!

لا تغتر بوالدك الذي يدخل عليك بما رزقه الله من أجلك، فلو رأيت أمك تقضي الليل بين النوم واليقظة، عيناها مغمضتان وفي يدها قارورة الحليب تمسكها أن تقع من فمك!

لو رمشت جفونك لقامت هي من شبه نومها فزعة تتفقد ما الذي أقلقك، بينما أغط أنا في نومي العمييييق!

وصار هذا القلب المدلل باذلًا للحنان بلا حد، متفانيًا في العطاء بلا مقابل.

مازحتها من يومين قائلًا: "بكرة تيجي اللي تاخده منك، ويحبها ويبعد عنك"، وترد بلا تلعثم: "دا يوم المنى كله، وقرة عيني أشوفه بس سعيد"!، وتتردد صرخة في أعماقي "لله درك يا أمي".

عبر أثير روحاني لا يتأثر ببحار وصحاري حجزت بيني وبينها، أحس بقلبها الذي يدعو في كل نبضة: "ربنا يسعدك يا ابني".

سهرت وتعبت، فرحت وبكت، ضحت وبذلت، ثم ها هي لا تجدني

بجوارها إن تعبت، ولا مستمعًا لفضفضتها إن ملت.

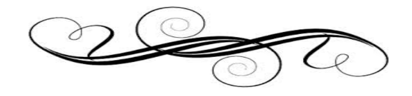
أدري لكم تشتاق لتلك القبلة على جبينها ويدها قبل خروجي بالصباح، لكم تفتقد "تسلم إيدك يا أمي" على مائدة الغداء.

لكم تدمع عيناها حين تذكر تلك المزحة التي ظللت أضحكها عليها أسبوعًا كلما كررتها، لكم تستوحش من غرفة خلت، تعودت دخولها فجرًا لتوقظني للصلاة.

ومع كل ذلك صارت تتصبر بمجرد مكالمة أسبوعية ما هي إلا تهييج للأشواق واستدرار للدموع، وقلبها ينبض، ولسانها يردد: "ربنا يسعدك يا ابني"!

هو القلب الوحيد الذي يحبك يا ولدي (كما أنت) و (كيف كنت)، لا ينتظر مقابلًا، ولا يعامل بالمثل..

لذا أوصيك: "أمك، ثم أمك، ثم أمك"...



من وحي النظرة (٩)

جالس- كعادته- بالسيارة في حجر أمه، منتش- كعادته أيضًا- بالخروج من البيت، عابث بكل ما تطوله يده، تعودت سماع هذا الحوار الجميل بينهما أثناء قيادتي

- أمه كافة يده: بس يا حبيبي
- هو غاضبًا: دِدَّاااااااا
- أمه متعالية نبرتها: الله يهديك يا ولد فتحت الباب.
- هو لا يعبأ
- أمه محاولة التصبر: يبني بتنزل الإزاز ليه؟!
- هو مقبل على أمره لا يلتفت
- أمه وقد فاض بها الكيل: شوف حل في ابنك ده!

أسترق نظرة إليه في عتب حانٍ، فيبتسم كأنه حقق ما أراد، ويمد يده راغبًا الجلوس في حجري، أو العبث بعجلة القيادة والعصي من حولها في الحقيقة!

ألتفت عنه منشغلًا بالطريق، فيُنفذ غضبه في تلك المسبحة المعلقة بالمرآة، والتي يستفزه تأرجحها يمنة ويسرة، لا يمضي وقت طويل حتى

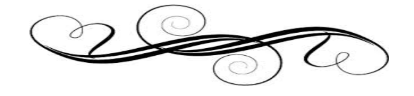
يتخدر تحت تأثير المكيف، ويخلد لنومة سريعة في حضن أمه، يستيقظ بعدها عند بلوغ وجهتنا، ويتكرر نفس المشهد في العودة بصورة أعنف؛ لأنه يدري أننا عائدون للبيت! هذه المرة كان الأمر مختلفًا مع أنس. لا أدري كيف تسرب لخاطره أنه وأمه لن يعودا معي، وإنما أنا ذاهب لتوديعهما! ترى أبسبب تلك الحقيبة التي توسطت الغرفة منذ يومين، معيقة خط سيره بعربته الصغيرة، وقد رآني أضعها في السيارة قبل أن يركبا؟! أم تراه فهم كلام أمه وهي تلبسه الطقم الجديد ممازحة له: «أنس رايح مصر؟!" أيًّا ما كان السبب، فالصغير على غير عادته صامت في دهشة، مسند ظهره لصدر أمه، يراقب الطريق وكأنه لا يريده أن ينتهي؛ فبعده وداع ودموع! وصلنا المطار، وإذا بالصغير عينه زائغة يمنة ويسرة، لفت نظره كم الحقائب المشابهة لتلك الحقيبة التي ضيقت عليه طريقه!!.

شحنت الحقيبة مع الأمتعة، فاستبشر الصغير، وعاد يداعبني، أخذته في حضني لأطمئنه، أو لأصبر نفسي! عاد لمناغاته ومراقبة الوجوه الهائمة في زحمة المطار، في قسوة وداعه، وروعة اللقاء فيه، دومًا ما ينجذب أنس لأقرانه وينجذبون له، وكأنها لغة الفطرة النقية بينهم، التي لا نفهمها نحن! وصلنا للوحة (المسافرون فقط).. وهنا قطَّب الصغير جبينه لما رأى زهرة تكبره بعام أو يزيد قليلًا، وقد طوقت أباها بذراعيها الصغيرتين، وبللت كتفيه بدموع وداعها، عبثًا يحاول أبوها التجلد، وعبثًا تحاول أمها المسافرة معها

فك ذراعيها الملتفتين حول رقبة أبيها! بكيت لهذا المشهد قبل أن ينفطر قلبي لوداع أنس، مر الأمر كطيف غير مرحب به، وسط وجوم الصغير ودهشته، احتويته في حضني، وطبعت على كل ما طُلته منه قبلاتي، ثم استودعته وأمه اللهَ الذي لا تضيع ودائعه، تلقفته أمه بسرعة كما أوصيتها في البيت ومرت به مجاوزة الحواجز، ولتني ظهرها، مقاومة الضعف في عيني وعينها، لكن ثمة عينين صغيرتين تراقباني من فوق كتفها، لم تصر على تعذيبي يا أنس؟!.. لِمَ ثبَّت عينيك على غير عادتك في اتجاهي فقط؟!.. يا لله ما أقسى (وحي نظرتك) هذه المرة! قرأت في عينيك عتابًا ونداءً ووداعًا.. عتابًا لم تركتنا يا أبي ولن نعود معك للبيت؟! نداءً فلتأت معنا إذًا.. ووداعًا أراك على خير يا أبي! أغرقتني يا ولدي في نظرتك هذه، وغبتما عن عيني وسط الدموع، قبل أن تغيبا وسط الزحام، تجرأت أمك على بُعد لتلتفت لي، وتلتفت أنت معها ملوحة بكفها وكفك قبل صعود الطائرة، لم تلبثا أن تواريتما حتى أنكرت والله كل ما حولي، لا الطريق بالذي أعرف، ولا البشر هم البشر، ولا حتى سيارتي كما هي، متثاقلة بدأت التحرك معي، وكأنها تريد تنبيهي لقد تركت بعضك هنا! ووصلت البيت.. يا للبيت.. ما أقساه بعد أن كان ري روحي وجمع شتاتي، ما أبرده بعد أن كان نابضًا بدفء المودة والرحمة، يتسلل صمت قاتل لأركانه التي طالما ضحكت لضحكك، وانتشت لعبثك ولهوك، لم تقابلني هذه المرة خطواتك الصغيرة المتسارعة بعربتك لتلقاني

على الباب مادًّا يديك، طامعًا في تلك الرفعة التي تكاد تلامس بها السقف، بل ها هي عربتك منكسة في الزاوية، تأبى حتى أن تلقاني بوجهها!!.. ها هي ألعابك مجموعة في حقيبة، كأنها جثة في كفنها، وقد كانت تنبض معك حياة وسرورًا! كل ما في البيت يلومني.. يرفضني.. فقط يشاركني حزني، لا يحاول التخفيف عني، ماذا فعلت لترتبط بك الأشياء هكذا يا أنس؟!.. هل لالتقائكما في عدم جريان القلم والتلطخ بالذنوب؟!. ربما، أين ضجيجك الحاني يؤنس أباك في صمت وحدته؟! أين دفء الجدران وهي تبث الصقيع في أعماقي الآن؟! أين ريح البنوة أشتمّه فيك؛ ليزيل عني عناء الأيام وأكدار الدنيا؟! أتدري يا أنس، أرى الحروف ساخرة مني لا تريد الإكمال معي، وحق لها.. أنا يا ولدي أتجرع هذه الأشجان وبين يدي الآن تذكرة لحاقي بك، وتذكرة عودتنا سويًّا للبيت! سخرت مني الحروف أن أحيا كل هذا وموعد اللقاء- بإذن الله- محدد، فكيف يحيا من حُرم أحبابه للأبد، أو حرمهم إلى حين لا يدري أيطول أم يقصر؟! كيف يحيا أب فزع من نومه على قذف أحال غرفة نوم صغاره لكومة حجارة ملطخة بدمائهم؟! كيف تحيا أم غيب ولدها في غياهب السجون والمعتقلات، لا تدري حي هو أم ميت؟! كيف يذوق النوم أسير بعد زيارة فصل بينه وبين أهله خلالها سلك مقيت ظالم، اتسع ثقب فيه لِبَنَان ابنته الصغيرة مدته فقط لتلمس كف أبيها؟! أتدري يا ولدي؟!.. مادام أمثال هؤلاء في دنيانا، سنبقى

خجلانين منهم ومن أنفسنا.. اللهم يااارب.. فك أسر المأسورين، وأطلق من بظلم مسجونين، واربط على قلوب الأرامل والثكالى والمقهورين.. اللهم واجمع شمل المتباعدين، ورد المغتربين لذويهم سالمين، واحفظنا في أنفسنا وأهلينا وذرارينا، والمسلمين أجمعين.



«ما بعد النظرة»

وصار الصغير يتمتم بأشباه حروف، هي في أذني أبلغ من البلاغة، وأصدق من كثيرٍ من مواعظنا!

***

ويمد الصغير يده متلمسًا، وكأنه يسأل: "بجواري أنت يا أمي؟!"، تقع كفه الصغيرة في كف أمه، لتلف ذراعها حوله: «دومًا بجوارك يا ولدي»، بسمة أمان تعلو وجهه، وتزداد أنفاسه النائمة عمقًا! لله ما أعجبكما!، تتواصلان وأنتما غارقان في النوم!

ليت الدنيا كلها مشهد أمومة حانية، وطفولة آمنة!

حياء صار يتملكني حين أنام بجواركما؛ ألا ألوث بآفاتي هذا المشهد النقي، وتجبراني على لحظة سمو قبل نومي، ليتها تدوم لي!

سامحت الكل، أدعو للكل، قلبي سليم على الكل، الدنيا أمامي الآن في أبسط وأصدق وأصفى صورها!

***

هؤلاء الصغار يربوننا.. نعم يربوننا!

دخولي عليه مع آثار وضوء، وتوجهي للثوب المعلق صار يعني عند أنس مؤامرة تحاك لخروجي بدونه من البيت.

يعلق نظراته بي كمراقب حريص، مع حركات متحفزة من يديه، كأنما يريد أن يمسكني، انتهيت وصرت جاهزًا لتأتي المرحلة الأخطر، لابد من معونة أمه لإشغاله، ثم وثبة واحدة من الغرفة إلى الصالة ثم إلى الباب، تحين منه التفاتة ليكشف خيوط المؤامرة.

عبثًا تحاول أمه إشغاله، وكلِصٍّ يتسلل خارج بيت أفتح الباب، مصارعًا قعقعة (المفصلات)، يتأكد الصغير من الخيانة؛ ليطلق صرخة مدوية، تهزني حتى أهم بترك (لقمة العيش) والعودة إليه لأطيب خاطره،

وأظل طوال الطريق بين شوق له، وتعجب من (تأديبه) لنا!

صار أنس بارعًا في فنون (الخربشة)، لوحات إبداعه مرسومة بإتقان على وجهه ووجهينا!

استندت بظهري إلى أريكة يجلس هو عليها في وداعة عابثًا ببعض ألعابه، وكنت مكبًّا على كتاب سارحًا- كالعادة- في عوالم أخرى، لا أدري ما الذي أغرى الصغير في رقبتي؟!

لعل وحي الإبداع أتاه؛ فأراد ممارسة هوايته في لوحة جديدة، وبدون تردد أقدم!

وأحسست فجأة بدماغي يفور إثر (هبشة) مسددة، التفت بعين تطاير منها شرر الغيظ، ليلقاني هو بنظرة كأصفى وأطيب ما خلق الله، مادًّا يده في براءة كأنما يعتذر!

احتواني هذا الصغير في لحظة ما حييتها من قبل، هزمت قوة البراءة في عينه فلول الغضب في عيني، ووجدت نفسي مكبًّا على يده وجبينه مقبلًا مسترضيًا، معتذرًا لو كنت أفزعته بسرعة التفاتي!

ورأيت أمه- التي كانت تكتفي بالمتابعة- تكتم ضحكة أقرب للتشفي!، فهمت عنها ما تريد؛ فكثيرًا ما تلومني في غضبي- غفر الله لي-..

تظاهرت بعدم اكتراثي بضحكتها أو برقبتي التي تلتهب، لأقول في ثقة وقد احتضنت الصغير: "أنا ليًّا بركة إلا أنتم»فهمست:"لعلك تعلمت الدرس»!

ألم أقل لكم.. إنهم يربوننا!

***

حتى الحب يعلموننا إياه!

تلك العين الصادقة التي تراقبك بحب؛ هي دومًا مشتاقة لك، متلهفة إليك، إنها لا تعرف معنى الخصام، تبتسم في وجهك، مع أنها لم تزل مملوءة دموعًا بسببك!

أي قلوب يحملونها في سرعة قبول الاعتذار حتى لا تجد فاصلًا بين حزنهم ورضاهم، يا لروعتهم وهم يمزجون البكاء بالضحك!

تلك اليد الحانية التي دومًا ممدودة لك بلا شرط أو مقابل، وهو يستيقظ من نومه، وهو مشغول بلهوه، بل حتى وإن أغراه غيرك بأي كان!

مجرد أن تمد يدك إليه؛ يميل نحوك، يود لو يقفز لحضنك لا يلوي على شيء، يريد فقط أن يكون معك، لا لجمال أغراه فيك، ولا لمال يطمعه في قربك، ولا لجاه ينتظره على يديك، بل لمجرد أنك (أنت)، فهو دومًا يريدك (أنت) كما (أنت)..

أليس هذا هو الحب في أصدق وأرقى معانيه؟!

سنظل منكم نتعلم معشر الصغار!

***

هناك أصوات تزيدك حبًّا لاسمك حين تسمعه؛ منها صوت الأم في لحظة رضا، صوت المحبوب في حال شوق، صوت تكريم في غمرة فخار.

لكن لا أرى كل هذا يساوي نشوة صوت صغيرك وهو ينادي اسمك مجردًا للمرة الأولى، مسقطًا حرفًا من بدايته أو نهايته!

***

حين يتسلل نور البراءة من بين أجفان النعاس، حين تعلو البسمة الوجه الصغير القادم من عالم الملائكة لتوه، حين تمتد اليد الصغيرة لك في حنان جامعة بين الاستعطاف والإغراء، حين يشعرك ذلك القلب الصغير أنه افتقدك طوال الليل!

حين تعجز الحروف عن وصف طهر الطفولة تصحو من نومها.

***

كان مؤذن مسجدنا على مشارف السبعين من عمره، فوجئت به يومًا يسعى في الطريق معتمدًا على عكازه مواريًا في كمه كيس فاكهة، سألته ملاطفًا: «على فين يا عم الحاج؟!»

تجاعيد السنين اختفت فجأة من وجهه، وعكازه خف ثقلها فعادت عصا شاب لا يتوكأ عليها، بل له فيها مآرب أخرى، أجابني بنظرة صافية بارة: «رايح لأمي»!!

تركته يمضي وأنا أتابع خطواته المشتاقة للبيت الوحيد الذي ما زال يشعره أنه صغير، للحضن الوحيد الذي يضمه كطفل غير عابئ برأس ولحية اشتعلتا شيبًا. إنه «ابن بطنها» وسيظل!

بضعة أشهر مرت وإذا بي أمشي في جنازة أمه، رأيته بعد الدفن مسندًا ظهره لقبرها يبكي كطفل ضاقت به الدنيا لا يدري أي حضن يأوي إليه بعد أمه!

ثقلت حركته مذ ماتت، صوته بالأذان صار مختنقًا، دبت الشيخوخة فيه كما لم تكن!

تظل صغيرًا- مهما كبرت- ما دمت بحضور أمك، فإذا فقدتها فقد هرمت فجأة، كل حضن بعد حضنها سيشعرك- ولابد- أنك لم تعد هذا الصغير!

***

وفي السجود فاجأني الصغير بامتطاء ظهري، ظللت ساجدًا منتظرًا قضاء نهمته من لهوه.

يسيطر علي شعور غامر بتمام النعمة بأن نكون من أمة محمد- ﷺ- بشر رسول ليس شيء من تفصيلات حياتك- مهما دقت- إلا ولك فيه أسوة!

***

وأبهى من ألق الجواهر في جيد حسناء؛ أثر أسنان الصغير بعد عضة مفاجئة!

***

إذا ما نام الصغير نهارًا يعود للبيت الهدوء الذي أشتاق إليه في يقظته، تخرج أمه من غرفته مبشرة لي أنه خلد إلى النوم- بعد المعركة اليومية المعتادة بينهما-.

نعم بشرى لأني أهرع بعدها لكتاب أريد أن أنهيه- آمنًا من محاولات سطوه المتكررة عليه ومغامرات إنقاذ الصفحات المنكوبة من بين أصابعه الصغيرة- أو عمل أريد إنجازه على الحاسب- بعيدًا عن الضغط العصبي الذي تسببه حركات المؤشر العابثة لأن الفأرة في يده-.

وسط انهماكي في كل ذلك تلمح عيني لعبته الملقاة في الزاوية كما بلغت بها رميته، وعربته الصغيرة الخالية على باب غرفته تنتظره لاستئناف جولاته القصيرة وسط الاصطدامات المتكررة بالأثاث أو بأرجلنا، وطبقه الصغير فيه بقايا من طعامه الذي منعته (زرجنة النوم) تداعب عينه الذابلة نعاسا من إكماله!

يثير كل هذا في قلبي شوقًا لا أدري كنهه ولا أستطيع مقاومته، أقضي الوقت كمن ينتظر حبيبًا قادمًا من سفر بعد غياب وقد قرب اللقاء!

لا أجاوز وسط هذه المشاعر الساعة بقليل حتى أتوجه لأمه بالسؤال الذي اعتادته مني: «هو هيصحى امتى؟»!!

***

الصيحة الأولى القادمة من غرفة الصغير مؤذنة باستيقاظه وانتهاء حالة «حظر التجوال» التي كانت مفروضة على البيت طوال فترة نومه الهادئ.

كثيرًا ما لا أستطيع مقاومة تلك الفرصة السعيدة، أستمهل أمه لأسبقها إلى الباب، بهدوء أفتحه لألمح العينين الصغيرتين تراقب الحركة بفضول، جالس يترقب.. يلوح بـ»الرضعة« في يده فارغة كأنها سلاح يجهز به على من بقي من صرعى أحلامه، أثر النوم في وجهه يزيده جمالًا وبراءة، وبقايا الحليب على طرفي فمه يغريان بقبلة لذيذة!

تلك اليدان اللتان تلتفان في لمح البصر حول رقبتك، كأنه يستنقذ نفسه من الإخلاد إلى السرير، أو يريد تعويض وقته الثمين الذي أضاعه في النوم.

بسمة عريضة ترتسم على الوجه الرقيق كاشفة الأنياب التي بالكاد تبرز من اللثة حين الخروج من الغرفة، ونظرة سريعة (للتمشيط) والاطمئنان على حالة الدمى المتناثرة والعربة الصغيرة!

وهنا يحدث ما لا يكون في الحسبان، لا تغريه ألعابه المنتظرة لينزل إليها، ولا ذراعا أمه الممدودتان شوقًا، ولا حتى العربة «الفارهة» على مقدمتها طبقه الصغير.

نعم..

لقد اعتبر كل ما سبق بنود عقد شراكة في جولة خارجية لا مفر منها، وما كان الحضن الصغير والبسمة الكبيرة إلا مجرد توقيع منه بالموافقة!

***

وفي كل مرة صرت أخرج من البيت يودعني بصراخ وبكاء كأشد ما يستطيع، يراها خيانة كبرى أن أخرج من البيت بدونه.

لا يفرق في ذلك بين خروج للدوام أو المسجد مما لا يصلح فيه اصطحابه، أو للتسوق وغيره مما صار واجبًا فيه اصطحابه!

أستطيع سماع بكائه في الشارع، وتوعده بحروف- غير مفهومة- وسط النشيج، في كل مرة أتوقع أن أعود لأجده غاضبًا مخاصمًا أو على الأقل يتصنع ذلك.

وفي كل مرة يخلف توقعي، بمجرد أن أفتح الباب داخلًا وإذا بذلك الزاحف الصغير يأتي من الغرفة جاهدًا منطلقًا نحوي لا يلوي على شيء، مادًّا يده في شوق، راسمًا ثغره ابتسامة حب ساحرة، مجرد حمله ورفعه في الهواء.

ثم التنعم بذاك الحضن- الصادق- يشعرك وكأن شيئًا لم يكن، وكأنه يعتذر إليك عما بدر منه، لكن خروجي فقط بعد المصالحة هذه بخمس دقائق للصلاة كفيل بإعادة نفس (السيناريو) بنفس التفاصيل.

يا ولدي، ليت لي قلبًا كقلبك!

***

-عندي اجتماع معلمات اليوم في دار التحفيظ.

-يعني؟!

-يعني مش هعرف آخد أنس.

-وبالتالي؟!

-وبالتالي هتقعدوا مع بعض الوقت ده.

تبادلت مع الصغير نظرات متحفزة مترقبة، كلانا يعلم أنها المرة الأولى التي يغلق علينا بمفردنا باب، بسمة تنير وجهه، أسفرت عن أنيابه الآخذة أطرافها في الظهور كلؤلؤ منثور على ديباج أحمر.

لا أدري لم تذكرت ساعتها البيت القائل:

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم

ولسان حالي: آاااه يا ترى ناويلي على إيه يا أنس؟!

مضت أمه ومع صوت إغلاق الباب أخذته الرعدة المعتادة إثر شعور بالخيانة لخروج تم بدونه، وجدتني مجبورًا للتحول لمؤد لحركات بهلوانية في ساحة سرك؛ فقط لألفت انتباهه الكريم وأنسيه أمر الباب.

ثم بإشارة واثقة من سبابته الصغيرة أجدني ممدّدًا تحت السرير لآتيه طائعًا بالكرة؛ ليعيدها وأعود!

عيناي في وسط رأسي ترقبانه، أرهقني متابعةً وردًّا عن مقبس الكهرباء تارة، وعن الانزلاق على الدرج تارة أخرى، ثم انتزاع الريموت من يده والعودة سريعًا لـ «طيور الجنة» قبل أن يصب عليّ جام غضبه!

«امبو» أفهمتني أمك أنها تعني: عطشان.. تفضل الماء، ثم.. ثم أمسح الماء عن وجهي فقد كان يريد تصفيف لحيتي فقط وأراد نقعها ابتداءً!

كل ألعاب الدنيا حلَت في عينه هذه الساعة، وكأنه أراد تبكيتي على تلك الساعات التي أقضيها ممسكًا بكتابي أو بالجوال واضعًا (رجلًا على رجل) لا أكلف نفسي إلا نداء مصحوبًا بنظرة الثقة من تحت النظارة: «شيلي الولد، الحقي أنس، أبعديه عني الوقت شوية»!!

أشهد يا أنس أنك في هذه الساعة أخذت حقك مني: (تالت ومتلت)..

وأشهد يا أم أنس ويا كل أم أن لولاكن؛ ما استقام لنا ولا للصغار عيش!

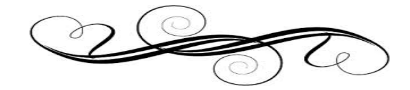
***

بسم الله يا ولدي اخطُ أولى خطواتك، مطمئنًا إن تعثرت فسقطت أن سوف تتلقفك مني أو من أمك يدان حانيتان، لكم يقفز قلبي وأنت قادم إلي بخطى غير منتظمة، مندفعًا لترتمي في حضني لا تلوي على شيء، آخذة خطوات العجلى بمجامع نفسي يا صغيري!

ألا فاعلم يا درة قلبي أنك ستظل ما حييت ذاك الصغير الضعيف، إياك أن تغتر يومًا باستواء عودك وانتظام خطواتك وقوة سعيك؛ ستظل تتعثر وتزل قدمك- عافاك الله-، وساعتها لا تنتظر إلا يد الله تقيمك على الصراط المستقيم وتأخذ بناصيتك إليه.

قم يا حبيبي واسع إليه بكل عزمك لا تلوي على شيء، ارتم في أحضان الذل على عتبة القبول.

هو يا ولدي أرحم بك مني، ومن أمك، ومن نفسك!



من كان له أخت = فأراه رُزق بأُمٍّ بعد أُمِّهِ..

ومن كان له بنت = فبشراه ببلسم لهمِّه..

إن بيتًا فيه بنت (صالحة) = هو جنة لكل (ذكر) فيه، كبر أو صغر!

سلوا بيوتًا خلت منهن عن معنى الشوق لحافظة الأسرار،

وبهجة الدار،

ونقاء فيه ستر من النار.

الحقيقة يا ولدي أنك أحسن حظًّا من أبيك، وأرجو أن تكون أحسن في كل شيء!

لقد عشتُ حياتي يا أنس أتمنى أن تكون لي أخت، ما كان عمّك– على ما بيننا من حب واندماج– ليسدَّ هذه المنطقة في إحساسي، كما لم أملأها له، لو كان لنا كما لك، أخت.

استوص بها يا حبيبي خيرًا، صاحبها واعطف عليها.

أحبها.. فحبها لك سيجعل لحياتك طعمًا مريحًا، يغذيك كلما احتجتَه.

ولا تنس، دورك كأخ أكبر.. يعني أن تكون لها الأمان في أتم صوره!

قد تتحرج يومًا مِنْ سرٍ لها تودعني إياه، فكن أنت موضع السر الناصح بحرص وشفقة.

وقد تجبن أنت عن مصارحتي يومًا بأمرٍ ما، فاجعلها مفتاحك إليَّ، فإني أضمن لك أنه مفتاح غير عاجز!

يا أم أبيك، يا نظرة غير النظرات..

كل تفاصيلك مختلفة، ملابسك، حركاتك، حنانك الذي تبذلينه فطرة.

إني كلما تأملتك يهجم إلى فكري ذاك الخاطر المؤلم، بالله كيف كان الجاهليون يجرؤون على وأد البنت؟!

بصرف النظر عن كونها من أصلابهم، لكن تلك العين التي جبلها الله

على بذل العطف، واستجدائه في نفس الوقت، كيف تُوارى التراب وفيها ذاك الوميض مازال حيًّا؟!

لا جرم أن يكونوا حطب جهنم، القلوب التي ما لانت لِبِنْتٍ نظرتها واعدة، تستحق الذوبان في النار الموقدة.

هل أصارحك يا رقية بسرٍّ؟!

أرى لو كنتِ أنتِ بكريّتي وكان وحي النظرة الأول فيك أنت؛ لتغير مسار الصفحات السابقة كلها لما لا يتوقعه أحد!

(رجاء لا تخبري أنسًا بذلك).

اللهم احفظ أنس ورقية، وأولاد المسلمين، وأقر بهم الأعين في الدارين.

اللهم وأسعد برزقك أرواح المشتاقين، وألق الصبر والرضا في قلوب من اخترت لهم العوض كاملًا في جنتك يا رب العالمين.

فسائل وأطواق ياسمين

وصال تقة

إهــــداء

إليك ابنتي..

ها أنت تكبرين أمام عيني كزهرة برية تملأ البيت عبقًا وشذى، وها أنا ذي أقطف لك من الندى أجمله وأعذبه، وأختار لك من اللؤلؤ أبهاه، أصنع لك منه قلائد أوشحك بها، وإن كان النصح مني واجبًا لك يا رعيةً استرعانيها ربي؛ إلا أنه لي قبل أن يكون لك.

وما أدراني يا ابنتي، لعلها وصية مودع.

ولعلي لا ألقاك بعد كتابي هذا، ولعله كل وصيتي لك، فإن أمد الله في العمر، فما جُعلت الأم أُمًّا إلا لتواصل المسير مع أبنائها بالنصح والتوجيه والعتاب والإرشاد، وكم لهم منها، ولها منهم ومعهم من دروس، فنحن يا ابنتي لا تاريخ صلاحية لتعلمنا، من المهد إلى اللحد، ومادام في أنفاسنا رمق، فلا نقعدن عن التعلم ببصيرة وتوقد.

وإن كانت الأخرى، فاقبلي يا ابنتي نصيحتي، وهي في عهدتك، سلميها لأختيك من بعدي حينما يبلغن سن الفهم، وواصلي معهما ما ستعجزني المنون حينها فعله بنفسي.

إليكِ..

إليكِ أخط الحب فيما أسطِّر
وفي القلب حب يا بنتي لك أكبر

وما زلت في روض الهداية برعما
وفي ظل هدْي الله يزهو ويظهر

يُحاط بحرص كي يشب مباركًا
وفي منبت الخيرات ينمو ويزهر

ونرعاه غضًّا فالرعاية شأوها
يكون أجلّ النفع والعود أخضر

وأنــت ببستان الهداية زهرة
ندَى الخير من أكمامها يتقطّر

ليغدوَ نهرًا بالفضائل غامرًا
بكل المعالي والهــدى يتفجّر

وأهدي إليكِ النصح، والنصح وا
جب على كل راعٍ، والرعيّة تعبر

لتعبر في سِلْم وتسعى بمأمن
وتبلغ ما نرجوه، والخير يثمر

وإنّ ابنة الإسلام مهما يحط بها
من اللهو والإغــراء لا تتأثّر

فإن الهدى ملأ الفؤاد، ولم يَعد
به غير نور الحق والقلب يعمر

وإنْ تعمر النفسَ الهدايةُ حُصِّنتْ
وبــاتــت يقيها الله ممــا يُدمِّر

خِمارُكِ فوق الجيب منه تلألأتْ على الوجه أضواء تجلّى وتبهر
وفي ثوبك الفضفاض معنى معمّق لقلب نقيّ بـالهـدى يتطهّر
وفي مشيةٍ فاضت حياء وعفّة خُطاك فليستْ بالهوى تتبختر
حديك عفٌّ طاهر القول طيِّب يفيض على الأسماع منه التخفّر
تغضين طرفًا بالعفاف فقد هوى إلى القاعَ من للشّر بالعين ينظر
وماء الوضوء العطرُ قد فاح دائما عليك، وفي التقوى الحِلي والتعطّر
وللنفس في ظل الصلاة سياحة تجوب العلا والنور في الكون يُنشر
إذا أذّن الداعي نلبيّ نداءه فنلقى الرضا والنفس بالخير تُغمر
ونتلو مع الإصباح والليل وردنا من الآي، فالقرآن نور يعطّر
يضيء لنا درب الحياة، فدربنا بظل هدَى القرآن رحب ونير
ونحمد رزّاقًـا كريمًا بفضله وفي ساعة الـسراء لله نشكر
نفوّض للمولى جميع أمورنا وفي محنة الضراء نرضى ونصبر

فلله ما أعطى، ولله ما جرى على صفحة الأيام.. كلٌّ مُقدّر
ونطلب علمًا نافعًا ليقودنا إلى قمم، إنّ العلوم تبصر
وإني لأرجو يا ابنتي لك رفعة مع العلم، إنّ العلم يُعلى ويكبر
فكوني لدين الله والعلم دائما أعِشْ يا بنتي طيلة العمر أفخر[1]

(1) عبد الله عبد المنعم حسن

(1)

يا ابنتي،

قد بسطتُ جناحي المهيض أحميك من العاصفة، ومن شظايا نفوسهم المكسورة، وأرواحهم الماثلة على أرصفة التجبر والتسيّد والخسة والاستذئاب، فكُسر الجناح، وغاضت أحلامي لك بحياة خير من تلك التي جعلت قطوف الورد يومًا تهاجر كما تهاجر أسراب القطا، في عَجاج رعونتهم وسفاهتهم، وموت خلايا قلوبهم قبل ضمائرهم.

ليس للورد- يا ريحانتي- مروج أمام الطوفان.

لك قلب بريء طاهر لم يتلبس بعد بالعصيان؛ فاحضنيه- بنيتي- ولا تلوذي بي، فالله كافيك وكافيني، وحاميك وحاميني، فلتتمسحي بجوده وعطائه، ولتسأليه الكلأ والولاية، فقد أغرقتك أمك في لجج الخذلان..

(2)

ويا ابنتي،

قد نتوه خلال الرحلة، تتخطفنا الطرقات وتعصف بنا رياح الحياة، نركن للدنيا وتشغلنا الدراسة أو الأموال أو الأهل أو الأولاد، تعصف بنا رياح المشاكل، تتقاذفنا يمنة ويسرة.

وتلك الشعلة المتوهجة؛ سرعان ما تخبو وما يتبقى لنا منها سوى ذكرى وهج ودفق بدايات الالتزام، نتحسر حينًا، ونبرر لأنفسنا أحيانًا ما ألنا إليه، وتستمر الرحلة، لكن الجذر النابت أول ما نبت بقوة؛ يحن إلى عنفوانه وإلى وهجه، فيعاهد الله على تجديد الإيمان في عروقه ومعانقة الوهج بعد طول انطفاء.

جددي إيمانك يا ابنتي، وامسحي الفانوس مرةً تلو مرة يزِدْ وهجه.

(3)

ويا ابنتي، أتعلمين حظ قلوبنا من الحياة؟

أَلَمٌ يذكرنا بالله، ويجعل قلوبنا المتعبة الكليلة تتكوم دعوةً صادقة في جوف الليل وأطراف النهار، يقربنا من المولى، ويجعل ألسنتنا تلهج بما يحيي القلوب، ويجعلنا نستشعر بعمق معاني السعادة والفرح والصحة والعافية.

ورحمة وحب يصقلنا ويذكرنا بإنسانيتنا وبتلك المضغة التي ما خُلقت بين جوانحنا هباءً، وهي هباء إن حرمت معاني الحب والوفاء.

وما تبقّى، لا يعدو أن يكون هشيمًا، إنما وجوده كما وجود أوراق الشجر بها، لا قيمة لها إن غاب الثمر، أو هبت عليها رياح الخريف.

(4)

احذري يا ابنتي من وحوش تدثرت بمسمى إنسان.

وتذكري أن بعض المذؤوبين لا ينتظرون حلول منتصف الليالي

المقمرة كي يبدأوا رحلتهم في اقتناص الضحايا، قد يظهرون صباحًا ومساءً وعند الزوال، ولا يهمهم بحال اكتمال القمر أو بقاؤه كالعرجون القديم، ولا يرغمهم شروق الشمس على استعادة ذاكرتهم البشرية.

(5)

لم أكن أتلصص عليك يومها، ولم أكن لأسترق السمع، لكنك كنت تحادثين صديقتك عبر الهاتف وأنت بمحاذاتي؛ فيصلني كل الكلام وكأنني مشاركة فيه.

سمعتكما تتحدثان عن فلانة، وعن حجابها الذي تلوَّن وتعطَّر، وعن عِلانة كيف تغير طبعها ولم تعد تلك الطفلة البريئة التي كانت تدرس معكما في المرحلة الابتدائية،وعن قول هدى، وعن فعل منى، وعن ضحك سهى.. وعن وعن وعن..

همست لك أن كُفّا عن ذلك؛ فقد وقعتما في المحظور، وانتظرت إنهاءك المكالمة كي نفصل الكلام.

يا ابنتي، عليك نفسك، أشغليها بك وبعيوبك وبتقصيرك تسلمي من غيبة وازدراء وكبر واستعلاء. فيوم نتوقف عن اللهث وراء «ما قالوا» و«ما فعلوا» و«ما لم يفعلوا»(هم). ويوم نغير اتجاه بوصلة سباباتنا من أقصى الأمام، إلى صدورنا محابس زلاتنا، ومخابئ سرائرنا، ومعاقل تقصيرنا وضعفنا، وحينما نوقف الزمان على أعتاب أخطائنا، ونشغل بها أنفسنا عن

زلات غيرنا..حينها فقط، سنعلم أن الستر نعمة وتفضل من الستير سبحانه، وبأن ما يجرِّئنا على فضله إن هو إلا حلمه وغفره وإمهاله سبحانه.

وسندرك حينها أنه لو كان للذنوب والخطايا روائح، لزكمنا بها من حولنا، ولجعلناهم ينفضّوا عنا وينسلخوا من حُبّنا انسلاخ النهار من الليل، إنما المطلوب نصح وإصلاح لمن قدر عليه ويسره الله له.

يا ابنتي،عليك نفسك.

(6)

صمتك عن تلك الاتهامات التي ألصقت بك لم يعجبني، ليس له من مبرر سوى الضعف.

كم في البيان والوضوح والشفافية من خير في كل الأحوال، فأحيانًا يا ابنتي، رغم سلامة نيتك، وصحة منطلقك، وعدالة قضيتك؛ إن لم تجتهدي في البيان والإيضاح، واكتفيت بما تعتقدينه دون تصحيح ما يعتقده فيك غيرك، خسرته، وربما كنت عَوْنًا للشيطان عليه في اتهامك، وفَقَدَتْ قضيتُك قيمتها ومصداقيتها.

(7)

إنه اليأس يقتل من ارتضاه يا ابنتي، فانفثيه عنك ثلاثًا، واستعيذي بعز من أعاذ مكروبًا في شدته، وتذكري على الدوام نِعم الله عليك التي لا

تحصى.

ولو وقفنا عند نقطة الألم لقضينا عمرنا ننتحب، ولجمعنا علينا ألم الخيبة وألم عدم القدرة على تجاوزها.

أكبر الخسائر يا ابنتي؛ أن تفقدي التناغم مع نفسك. وأكبر الهزائم أن يشكلك الأسى كما يريد وأنت قادرة على بعث الروح في أنفاسك المتشظية.

لن تغرب شمس في وجه روح مبتسمة، ولن تبرح فتائل النور من عانق الأمل ورأى في كل بارقة صيبًا نافعًا.

ابتسمي يا ابنتي، ثمة شمس تستمد وهجها من ابتسامة المتفائلين.

(8)

وهذه الدنيا يا ابنتي دار كدر وكبد وعناء، لم تصفُ حتى للأنبياء ولسيد البشر، أفليس من العَتَهِ أن ننتظر منها أن تصفو لنا!؟

سيصيبك الكرب؛ لتلتجئي إلى الله، وستُظلمين؛ لتستنصري الله، وسيشمتون فيك إذا ما سقطت، لتعلمي أن الضعف جبلة فينا وبأن من يشمت لم يفهم أن الدنيا دور.

وإذا ضاقت بك، فسَّحها الدعاء. وإذا انقطعت بك الأسباب، فالرجاء في مسبب الأسباب.

فقط.. كوني مع الله، وزني أفعالك بميزان الشرع، وأحسني سريرتك، ولا تلتفتي لشماتة الشامتين، واصبري على أذى وشتيمة المعيرين، ينصرك الله ويظهر شأنك ولو بعد حين.

(9)

ثلة مباريات، من غير أن تُقبلي في واحدة منها، وأنت التي كنت تتوقدين ذكاء وتفوقًا.

قد توكلتِ على الله، واستخرت واستشرت وتحريت اتخاذ الأسباب، لكنها انقطعت بك، فصار عقلك الذي لا يؤمن إلا بالمحسوسات وبالمعادلات يشغب عليك :"بدون أسباب لا وصول لغاية.. أو " قد كان السبب فلم لم نصل الغاية؟"

ليكن منك التسليم يا ابنتي، ولا تلتفتي لغياب مشهد السبب، وفي نفس الوقت لا تعطليه، ففعله- جل جلاله- ليس رهينًا بما يراه العقل موجبًا وشرطًا، والذي سخر الأسباب هو الذي يقطعها سبحانه لحكمته وإحاطة علمه، والذي يعطي بالأسباب، قد يعطي دونما سبب أو يهيئ لك غير تلك التي سعيت لها، وقد يعطي بما ترينه أنت خلاف الغاية، وقد يمنع لحكمة لا يعلمها إلا هو.

يا ابنتي، حققي عبوديتك لله وثقي في عطائه ومدده، يهيئ لك الأسباب،أو يبلغك حتى من دونها، أو يعطك على ما ترينه أنت سببًا لعكس

ما تريدين.أو يختار لك غير ما تصبين إليه، ويغدق عليك من الرضا ما يبلغك السكون والهدوء والطمأنينة.

فقط.. كوني أَمَةً حقيقية لله.

(10)

" لا أريد شيئًا من هذه الحياة، لم أعد أطالبها بشيء..»

وتتشظى كلماتك في مسامعي، وينساب الدمع رقراقًا من عينيك من خيبات متكررة في حياتك.

يا ابنتي، ما أسهل أن تتحرر ذواتنا- في لحظات الضعف وعيف الحياة- من التشبث بالدنيا، ومن الأمل في تحقيق الطموحات، ومن المستقبل وما يحمل من أسرار ومجهول.

وما أسهل- في حالة صفاء خاطر ورخاء وعافية- أن نتمسك بأهداب الدنيا وأن نخطط للمستقبل بسطور الأمل، ونمني النفس بكل قادم جميل. لكن القوة تكمن في تلك المفارقة العجيبة؛ حينما نكون في أوج الألم وقمة الحزن، لكن نبقى متشبثين بالأمل، وننقذ أنفسنا من براثن اليأس بضخ دماء جديدة في عروقنا الآيلة للنضوب، وبمعانقة طموحات ومشاريع جديدة تجدد في شرياننا معاني الحياة. مشاريع جزء منها لتدبير أمور المعيشة، والجزء الأكبر لتحقيق عبودية الله وما خلقنا لأجله.

وكذا حينما نكون في قمة النشوة والسعادة، فنؤثر عليها السعادة الباقية الأبدية، فنرى في فرحنا ذاك زيفًا وحقيقة باهتة لا تدوم، فتتوق أنفسنا للقاء الله ولما عند الله.

وطِّني نفسك يا ابنتي على فهم مفارقات الحياة، وتفعيل التعامل معها برقي.

(11)

يا ابنتي، لتكن همتك تناطح السماء، ولتنشغلي بالمشاريع التي تدوم، تلك التي لا تقطفين ثمارها إلا وكتابك باليمين وقدمك على باب الجنان.

يا ابنتي، لو استعرضنا أمامنا حياتنا بشيء من البساطة وكثير من الشفافية والعمق؛ فسنجد أننا إمَّا أمام مشروع قد تحقق وقد كابدنا لأجل تحقيقه، وبذلنا في سبيله سهرًا وتعبًا وتوترًا وحرق أعصاب، لنصل في الأخير إلى لذة آنية لا تعدو أن تكون فرحة لحظة تحقيق النجاح والإنجاز، لننتقل بعدها إلى الروتينية والملل وانفراط سمط النشوة بعيد حصولها، ومن ثم علو الهمة لتحقيق نشوة أخرى يسبقها كَدٌّ وتعب ثم تنتهي كصاحبتها.

وإمَّا أمام مشروع لم يتحقق، فما زلنا ننتحب تارة لعدم وصوله، ونبذل قصارى جهدنا لأجل ذلك، ثم ما نلبث أن نعلم أنه لا سبيل إليه فنيأس ونستكين ونمضي ما تبقى من حياتنا بين خفقة محاولة الوصول، وحرقة الإخفاق.

ثم يرفع عنا الستار، وتنتهي فصول المسرحية، ونخرج منها كممثل أدَّى دوره على كل حال، ولربما لم يكن ذلك اليوم يومه ولم يحالفه التألق.

لو علمنا علم اليقين يا ابنتي أن الزوال يفسد الفرحة، وأن التكرار يقتلها، وأن لكل البدايات نهاية واحدة؛ لتاقت أرواحنا لما لا زوال له، وللفرحة الحقيقية حيث السرمدية والسعادة الأبدية التي لا تعكرها أحزان ولا يفسدها تكرار أو زوال.. ولعملنا لأجلها بهمة ونشاط، ولهان في سبيلها الكد والتعب لاستبشارنا بحتمية النهاية السعيدة.

لكنها الغفلة والضعف والانسياق مع أمواج الدنيا، موج يرفعنا وموج يخفضنا، نطفو أحيانًا وأحايين يبتلعنا اليم.

(12)

يا ابنتي، وأنت تتخطفك المجريات من حولك..

قفي، تريثي، تفقَّدي قلبك، فأما الدين فقد تكفل الله بحمايته وإظهاره ونصره، وأما قلبك الموكل بك، فليس لك من دونك- بعد الله- من يتولاه.

واحذري- في لحظة ضعف- أن تيأسي أو أن تفقدي الثقة في الله.

(13)

وأنظر في عينيك يا ابنتي فأتمسك بالدنيا وأعشق الحياة لا لأعشقها، ولكن لأبقى لشجيرة براءتك السقيا، وليختبئ ضعفك في ضعفي فنحتمي سوية من زمجرة الرعود وصولة العواصف وثورة البراكين؛ بمن جمع فينا ضعف الإنسان وضعف الأنوثة والضعف أمام التجبر والتسلط وموت الإنسان في داخل الإنسان.

(14)

"لن أكلف نفسي و لن أرهقها، سأرضى بما قدر الله"

جميل يا ابنتي أن نتذكر الرضا ونحن في وحل الكبَد، وجميل أيضًا أن نعلق أنفسنا بالرجاء في التغيير فلا تعارض. لكنني أخشى أن يكون قد اختلط عليك معنى التسليم بمعنى الاستكانة السلبية.

فأمام الابتلاء، أحيانًا يكون الصبر والتسليم مع الرضا بالمقضي، أسهل ألف مرة على النفس البشرية المجبولة على الخمول والركون إلى الأيسر؛ من التشوف إلى ما عند الله واليقين في حصول التغيير، فهي تركن- في الغالب- أمام اختيارين صعبين- إلى أهونهما وأيسرهما، فلا أسهل عليها- مرات- من الاستكانة والرضوخ للمقدور على أن تتعلق بالأمل.

وقد تنتقل من هذا إلى ذاك دون أن تشعر، فلنتفقدها أثناء مسيرها إلى الله فقد نسقط في سوء الظن بربنا دون أن ندري.

ولنترك أبواب قلوبنا مشرعة للقادم الجميل، ولنحسن الظن بمن هو عند ظننا به سبحانه. ففرق يا ابنتي بين الرضا بالقضاء والقدر الذي هو واجب، وبين الرضا بالمقضي والمقدور. نحن مأمورون بعدم الاعتراض على ربنا في حكمه وتقديره، ولسنا مطالبين أن تطيب لنا البلايا والمُلمَّات.

(15)

وكل ما ومن حولنا يا ابنتي، إنما هي وسائل إن نفعنا الله بها. وحتى وإن نفعونا فإنما قد سخرهم الله لنا، وحتى وإن التمسنا عندهم الحلول، فمن باب اتخاذ الأسباب فقط، أما القلب فمتمسك بأهداب الرحمة والفرج من مفرج الكربات سبحانه.

لا تعلقي قلبك بأحد.. ولو كانت أمك.

(16)

وحينما يسلم الفكر يا ابنتي من الانحراف والفساد والعنف، وتُبْنَى الرؤى والمعاملات على الحب والرحمة؛ يسهل أن تتوهج فتيلة الحق في القلب، فتنير شعبه وتدب الحياة في نتوءاته، ويتعدى نوره لمن حوله.

(17)

وآه من الظلم يا ابنتي،

مازلت أراك تنتحبين لما أصابك من ظلم من أقرب الناس إليك، وكيف استطاع أن يجمع حوله من لم يتركوا لك فرصة تبرير أو إقناع، فلم تجدي سوى لوعة القلب والدموع تغتسلين بها.

يا ابنتي، قد يعلو الظلم ويصنع له أنصارًا وأتباعًا، لكن انتفاشته لا تدوم، ولا يمكنه بحال أن يصنع أمة (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ)

(18)

يا ابنتي،

أن تري الحق حقًّا والباطل باطلًا نعمة تستحق سجدة بين يدي المنان الوهاب، في حين غيرك قد لُبِّس عليه ولربما خُتم على قلبه وعلى بصره وبصيرته فلا يرى أبعد مما يراه من حوله ممن لُبِّس عليهم أيضًا، بل ويجزم أنك على باطل ويعاملك على ذلك الأساس.

إذا تعلق الأمر بشهوة، فالخلاص منها قد يكون يسيرًا لمن أراد الله به خيرًا ووفقه إلى التوبة، فكم من سكير وهو في أوج خمرته يسأل الله العفو، وكم من مذنب يذنب وهو يعلم أن ما يفعله لا يجوز.

وقد تكون خطوة الإصلاح معرفته تلك بحقيقة ما هو عليه، لكن الشبهات أمرها عسير،إذ تأتيك الأوهام على أنها حقائق، وتأتيك الظنون على أنها مسلمات، بل من كثرة اقتناعك بفكرتك لا تبحث عن وضعها في الميزان وبالتالي تصحيحها.

فإذا ما هداك الله يا ابنتي- منة منه وتفضلًا- إلى معرفة الحق ورؤيته حقًّا، ومعرفة الباطل ورؤيته باطلًا، فاسأليه سبحانه أن يمُنّ عليك باتباعه، فلا يكفيك معرفته، و أن يغدق عليك بالثبات عليه، فكم ممن ساروا، لكنهم حادوا وانقطع بهم السبيل أثناء المسير.

(19)

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ (الحج: 54)

إذا علموا بأنه حق من الله، ازدادوا به يقينًا وانقادوا له، فخشعت وذلت وسكنت وخضعت قلوبهم.

لا خير في علم يا ابنتي لا يقود إلى خشوع القلب واستكانته لخالقه.

(20)

وها أنت كل يوم يا ابنتي، تفجعين بشيء جديد من مفارقات الحياة الخديج.

ها أنت تستكشفين بنفسك حقيقتها الخداعة، فاجعلي حقيقتها قودًا لك إلى الرضوان.

ما دخل أصحاب الجنةِ الجنةَ وتمايزوا في درجاتها، ولا أصحاب النارِ النارَ واندحروا في دركاتها؛ إلا بتلك اللحظة الفارقة.

أمام الأمارة والهوى ووعد الشيطان الكذوب، وأمام امتحانات الحياة التي لا تنتهي.. قفي، تمهلي، وصِلي رأسك بقلبك.

وكوني دومًا على أهبة واستعداد لما تلقيه الحياة في طريقك من ابتلاء وتمحيص، وتذكري أنك في كل لحظة مُمْتَحَنة، وبأن ما هي إلا لحظة

كلمح بالبصر تركنين فيها إلى هواك، أو إلى رقابة المولى، فيكون التمايز والاصطفاء.

دخلت بغي الجنة في كلب لحظة إنسانية. ودخلت امرأة النار في قطة لحظة عتو وتجبر.

في كلمة رضوان لحظة رضوان كتب له الرضوان إلى يوم القيامة، وآخر هوت به كلمة سخط لحظة سخط في قاع جهنم.

فانظري يا ابنتي إلى اللحظة الفارقة التي تكون لك سببًا في فوز ونجاة، أو في سخط ولعنة وعذاب.

(21)

إنسان أنت على كل حال يا ابنتي، لكن إن وقعت فأحسني النهوض وسارعي، وتلك الطرق التي تتخطفك، تغالبك، تحاول الانتصار عليك، ومزعات قلبك المشتتة التي تروم التئامًا، وانصهارك في بوتقة النور كي تولدي من جديد، واضطراب خطاك على درب الوصول، يكفيك أنها قد اختارت الوصول.

ويكفيك أن العليم بحالك المطلع على صدق أوبتك بالقرب منك، ويكفيك فرحته سبحانه بحطك الرحال على مرافئ العودة.

خذي عني يا ابنتي : البعد عن المعصية منَّة وتفضل من الله على من

يشاء من عباده، والوقوع فيها يذكرنا ألا نعتمد دومًا على حفظ الله دون أخذ بالأسباب وابتعاد عنها وعما يوصل لها.

لا أحد أكرم على الله ويستحق حفظه استحقاقًا.

(22)

تفقدي قلبك..

لكم تنزلق منا تلك المضغة القابعة بين الحنايا وتتفلت في زحام الحياة، وكم نؤتى من قبلها ولا نرعوي، بل قد لا نتنبه إلا ونحن في دركات الهم والغم والمشاكل.

نتساءل في حنق: ما الذي أودعنا شِبَاكَ الهم الثقيل؟ وما بال هذه الحياة أصبحت ذابلة ممتقعة؟ ومالنا لم نعد نستمتع بكل ما كنا نستمتع به من قبل؟

نحاول البحث عن الحلول والبدائل، وحل شفرة الروح، وننسى أننا متقلبون بسببه بين غضب وشهوة، إن أفلتنا زمامه كبلتنا وصرنا لها عبيدًا.

(23)

وفي الحياة يا ابنتي..

كم نحتاج إلى إعادة النظر في مسئولياتنا ومهماتنا، تنتهي مهمة لتبدأ أخرى، وفي خضم الأحداث وتضافر التغييرات؛ ننسى مهمتنا التي لأجلها خلقنا: العبودية.

وحدها تنسينا هموم الحياة، وتذكرنا أن الذي شُرِّفنا بعبادته سبحانه حرم على نفسه الظلم الذي نكتوي به من العباد، والخذلان الذي يصلوننا به، والقهر والاستبداد والتسلط الذي يغرقنا في لججه، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

(24)

" لا أريد صديقات يا أمي بعد اليوم،لا أريد مزيد خيبة وخذلان، لم أعد أثق فيهن، بل لم أعد أثق حتى في نفسي..»

كم هي قاسية تلك اللحظة يا ابنتي.. حينما نكتشف أن من سلمناهم قلوبنا وثقتنا ليسوا أهلًا لها.

قد نقسو على أنفسنا حينما نكتشف أننا أسأنا الاختيار.. وقد نفقد الثقة في كل من حولنا، لكن لنحذر- يا ابنتي- أن نفقد الثقة في أنفسنا، فنحن بنا وبالله قبل ذلك وليس بهم.

(25)

أتعلمين يا ابنتي ما الذي يجعلنا ننتصر على الألم؟

أن نعتصم بمن قدّر للدنيا أن تكون دار ابتلاء، وجعل أرواحنا عطشى للأمان؛ كي نتوق إلى هناك، وكي تسجد قلوبنا المتعبة بين يدي واسع العطاء ذي خزائن الجود، ألا يعلق قلوبنا بما منه الألم.

أن نجعل من كل تفاصيله درسًا جديدًا كما كل تلك الدروس التي لن تنتهي إلى أن تزهق الروح.

أن نعطي للعقل مساحة أوسع في التحليل، فالألم إحساس، والعقل يأتي ليشوش على الإحساس.

أن نجلس على مسافة أقرب من ذواتنا وأبعد منهم كي نُربِّت بأيدينا الرحيمة علينا.

أن نفقد الثقة فيهم وأن نبعثها فينا من جديد.

أن نُفهم أنفسنا من نحن ومن هم. أن نقنعها أننا الحقيقة وأنهم السراب والوهم.

أن نسعد رغم كل شيء بتلك الأشياء الصغيرة الجميلة التي في أعماقنا والتي كادت العواصف أن تفقدنا الثقة فيها فهي بنا وليست بهم.

أن نستطيع الفصل في رحلة التحليل بين حدود مساحتنا الخاصة بنا والتي يسقيها كنهنا ومن نكون، وبين مساحتهم التي كانت يومًا تشارك جزءًا من مساحتنا.

أتعلمين ما الذي يجعلنا ننتصر على الألم يا ابنتي؟

ألا نبقى مزروعين عند باحة شعورنا به، وأن نستشعر لطف الله الخفي الذي يصاحبنا في كل خطوة ويأبى علينا الانهزام، ويشد على أيدينا كي

نخذل الشيطان ونبتسم، فنقوض عليهم خطتهم في إيذائنا، ونقوض عليه خطته في إحزاننا.

(26)

وأول خطوة على طريق الإصلاح يا ابنتي- بعد الاستعانة وطلب الغوث من المغيث سبحانه بصدق وإلحاح، وبعد الشفافية والقرب من النفس، ومحاولة فك شفرتها- توقير الله وتعظيم قربه وعلمه ورقابته في النفس.

فإن استشعرنا قربه الدائم منا، واطلاعه على الخبايا وما تخفي الصدور، وعلى الكلمة ومرادها، والفعل ومراميه، والنية وتجردها أو تلونها، استطعنا- بفضله سبحانه- أن نصلح ما كتب لنا إصلاحه.

قراءة متأنية بتدبر وتمعن في كتب شرح أسماء الله الحسنى، لأسمائه سبحانه: (المهيمن، الرقيب، الحفيظ، السميع، البصير، العليم، المحيط، الشهيد) تشفي الصدر العليل، وتذكر الغافل، وترد الشارد بفضل الكريم الجواد.

قيل لبعضهم: متى يَهِشُّ الراعي غنمه بعصاه عن مراتع الهلكة ؟

فقال: إذا علم أن عليه رقيبًا.

(27)

أن تبحثي أين تجدين نفسك أكثر، وأين سيكون عطاؤك أكثر، أن تنصتي لصوت الفطرة داخلك وللواعظ في قلب كل مؤمن.

يا ابنتي،

نحتاج لسمع مرهف ولقرب وشفافية مع أنفسنا، وقبلها لتجريد النية وحسن التوكل.

بشق تمرة وبإماطة غصن عن الطريق خُلد أناس في الجنة.

ربنا الشكور يعطي على القليل الكثير.

(28)

"لا أمل، فوضت أمري لله.."

مغالطة كبيرة تلك يا ابنتي، وخلط عجيب.

أتدرين معنى أن تفوضي الأمر لله؟

يعني أن تتمسكي بالأمل..

يعني أن تنتظري ولايته وفرجه وأن يدبر كل أمرك.

يعني أن تبرئي من حولك وقوتك إلى كنفه وحوله.

يعني أن تري بعين بصيرتك لطفه وكرمه سبحانه.

حاشا أن يقطع الله الأمل من قلوبنا، أو أن يخيب من تعلق قلبه به سبحانه وتقلب في معرفة صفاته وأفعاله، وعلم حق اليقين أنما الضر والنفع، والمنع والعطاء؛ بيده تعالى، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

من كان ذاك حاله، فالله يكفيه ويؤويه ويعينه ويمده بقوته ونصره وولايته.

وإنك لترين- يا ابنتي- ثمار استخارتك وتفويضك أمرَك له سبحانه ولو بعد حين.

فقط، ثقي بأن الله اللطيف لا يخيب من استخاره، ولا يختار لك إلا ما فيه خيرك. واعلمي أن سجدة قلبك بين يديه سبحانه تسألينه الغوث والعون والمدد، كفيلة بكرم الكريم ومنة المنان أن تقيك شر نفسك وشر من يتربصون بك وشر من يريدون العيث في حياتك فسادًا.

كوني دومًا مع الله يا ابنتي، يكن لك ومعك.

(29)

رسائل الغيب يا ابنتي تدربي على قراءتها.

قد يأتيك الألم، لتعلمي معنى العافية، ومعنى أن يسجد قلبك بين يدي الشافي الطبيب فارج الكربات، وقد يأتيك الابتلاء؛ لتفهمي معنى الصبر والرضا.

وقد تتلبسين بالذنب والمعصية؛ لتعلمي معنى الستر والانكسار والتوبة والانطراح بين يدي التواب الرحيم.

وقد يأتيك الفرج؛ لتعلمي معنى الشكر، ومعنى أن تكوني أَمَة لرب

كريم جميل بر رحيم. يبتلي ويعافي، ويقدر ويلطف، ويمتحن ويمد سبحانه. نفرح بمعافاته بعد طول محنة، وننتشي لفرجه بعد طول ضنك.. وتبقى العبرة والدرس.

وشكر المنة: أوبة وتصبُّر على الطريق.

فإن الستير يفضح، والغفور يأخذ بالذنب، وإذا ما غفر وصفح، أمهل ولم يهمل ومّدَّ في أجل التوبة أنرجع أم نبقى في غَيِّنا.

ومن يؤت البصيرة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، والحكمة نعمة، وكفى بها نعمة.

فاسألي الله يا ابنتي البصيرة والهدى، واسأليه أن يثبت قلبك على دينه، وأن يصرفك عن العوائق، وأن يصرف عنك العلائق.

(30)

بعض طموحاتنا وأحلامنا أقرب إلى الوهم منها إلى الحقيقة، وإلى المثالية منها إلى الواقعية.

لا تحجري على أحلامك وطموحاتك يا ابنتي.

ولكن لا ترفعي سقف توقعاتك، ولا تنظري إلى السماء حد نسيانك موقع رجليك.

(31)

"ليت لي من قوة كي أواجه، أو أن أمضي ما تبقى من عمري في معزل عنهم..»

اصنعي كهفك يا ابنتي، واحتمي به منهم ومنك.. من نفسك الأمارة، ومن هواك، ومن أولئك الذين يرومون سَحْبك للهاوية. اصنعي كهفك، وأوِي إليه كلما ضاقت بك رحابة الحياة، واختلطت في قلبك المشاعر، وتشابكت الأحداث في نفسك ككبة خيط منقوضة، يؤتك الله من لدنه رشدًا، وتستفردي بنفسك التائهة الماثلة بين إقدام وإحجام، وينشر لك من الرحمات ما يبلغك به المآمن.

اصنعي كهفك يا ابنتي، فزحام الحياة قد يسرق منك الإنسان.

(32)

(وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى) [طه:130]

سبحي يا ابنتي، لعل نفسك ترضى.

(33)

بداية السيل قطرة، والبُلغة تبغي ضربة بداية، وتلك الضربة لا تعدو أن تكون توبة صادقة تضع بين أيدينا بداية الخيط الممتد الطويل، وصدقًا مع أنفسنا

وقبله مع خالقنا كي ييسر لنا طريق الإياب..

(وإني لغفار لمن تاب و ءامن وعمل صالحا ثم اهتدى)

التوبة يا ابنتي مِنّة من الله، والعمل الصالح توفيق منه سبحانه، ولا نفع لهما إن كانا سببًا في الطغيان والاستكبار على الخلق، ولا فائدة منهما إن لم يكن الاستمرار على الهدى والثبات عليه والاستقامة على أمر الله.

يا ابنتي،

العبادة فرض، والذنب وارد، والخطايا تطوق الأعناق، والدواء توبة بعد توبة بعد توبة إلى أن تفيض الروح.

(34)

أتدرين ما السعادة يا ابنتي؟

تلك الأشياء الجميلة المرحَّلة كما لاجئ سياسي، والتي تغادرنا كل يوم.

وتلك التي لم تأت بعد، لكننا نعلم حتمًا أنها ستأتي.

(35)

تعلَّمي يا ابنتي أن تحبي الليل، وأن تحبي الغيم، وأن تحبي ساعات الظلام الصادق، فالغيم جد أكبر لشمس الربيع، وعتمة الليل سلف خيوط الفجر النقي.

تعلَّمي في الغيم صدق حزنه واعتصاره قبل أن ينجب قطرات الحياة، وفي الليل صدق انتحابه قبل أن يفرج عن شمس النهار. تعلَّمي من كل حزين صادق في حزنه أن من لم يتألم بصدق لن يفهم معاني الفرح، وأن من لم يعرف الشدة لن يراقص فتائل الفرج.

(36)

-" كل الأشياء الجميلة تغادرنا.. لا تتوانى في حمل حقائب رحيلها المبكرة المستعجلة.. "

- كل الأشياء الجميلة يا ابنتي، وكل الأشياء المشينة، وكل ما أسعدنا، وكل ما أتعسنا، وكل ما عشنا عمرًا نرقب مجيئه؛ سيغادرنا. إنما هي رحلة قصيرة، ثم...إن لبثنا إلا ساعة من نهار نتعارف بيننا.

والسعيد من كانت معرفته بالله وفي الله ولله.. وحمل من الزاد ما يبلغه المآمن.

(37)

وحينما تدخلين عالمك الغامض يا ابنتي، تعبس الدنيا في وجهي.

الغموض يا ابنتي: سحابة خريف رمادية، لا هي بالحبلى فتنجب غيثًا، ولا بالشفافة فتكشف الأشعة المحبوسة وراء حجبها الملتفة السميكة.

الغموض: حلقة مفقودة في سمط بهجة الحياة، فكوني شفيفة واضحة- يا ابنتي- تبتهج لوضوحك الحياة.

(38)

«رأيت الأيام تركض كأنها خائفة مستنفرة، تجردنا من أحلامنا وتخلع عن قلوبنا معاني البهجة. وكأنها وكلت بنا للانتقام منا..»

- بل هي تجري بنا يا ابنتي؛ لندرك بقية رزق وبقية أجل ينتظرنا، لم نستكمل بعد نصيبنا فيه.

لن يمضِيَ أحد برزق خديج.. ولا بأجل منقوص.

(39)

يا ابنتي، ليس لقطار المعرفة بالحياة محطة وصول نقف عندها، نحن نمضي ونستمتع باستكشاف خبايا الوجود التي أعمانا الضباب يومًا عن رؤية جمالها المفعم بالمفارقات والمتناقضات.

وكطفل بالكاد يتفتح على ما حوله، يفزعنا الشر والصراخ والعويل، ويبكينا الألم، ويبهجنا لون الورود ونقاء السماء، وننتشي لتغريدة الطير، ويأسرنا بريق الشمس فوق رؤوسنا.

فإذا ما توقفنا يومًا عن رحلتنا الجميلة التواقة لكشف الأسرار وفك الطلاسم والشفرات، توقف نبضنا وغاضت شراييننا بحثًا في أعماقنا عن بقايا إنسان.

(40)

"وكأن نفسي أصبحت غريبة عني. وكأنها تتفلت مني وتزهد في صحبتي. لم أعد أفهمها..»

يا ابنتي، كوني صادقة معها، تصدقك.

فأجمل ما في الصدق مع النفس أن تستطيعي مواجهتها في كل لحظة وفي كل آن بخطئها دون تربيت عليها، فتقبل منك وتساعدك على حل شفرتها.

اتهامك لها صداقة معها، ولومها بداية وضع الخطى على طريق التغيير، وكَيْل الاتهامات لها ومواجهتها بحقيقتها كشفٌ لها أمامك بما يجعلها تذعن وتعترف وتمدك برأس الخيط من أجل بداية التصحيح والإصلاح.

(41)

يا ابنتي، أن تنتبهي وسط الطريق فتتداركي ما أَخْسرتْكِه رحلتك في رحاب الاستعماء؛ خير من أن تكملي المشوار بلا عكازة ولا دليل ولا فتيلة تضيء لك العتمة.

(42)

وفي وسط الزحام نتوه، نتخبط، نبحث عنا فلا نجدنا. نرى في المرآة فإذا بها فارغة من وجوهنا. وتتدافع الحروف فوق الشفاه؛ لتكتب سؤالها القاتل: من أنا؟ من أكون؟»

يا ابنتي،

حيٌّ ذلك النبض الذي مازال يهمس لك من بين جدران صدرك :»من أنت؟

هي سجدة بين يدي الكريم، تنبئك أنما أنت سوى دعوة صادقة أن يكفيك الله شر ما تجدين، أمة فقيرة ترجو كرم مولاها.. تسأله أن يحميها من نفسها المتمنعة عليها، وأن يرجع الخطى إلى حيث الخط الواحد المستقيم.

(43)

"أتعلمين يا أمي ذلك الإحساس بالاستغفال؟ وأن يقال لك أنت جنيته على نفسك؟ أن تحسي بالعجز في مدافعة ظلمهم؟"

في قانون البشر يا ابنتي، القانون لا يحمي المغفلين، ولكن في دستور رب البشر؛ دعوة المظلوم المستغفل ليس بينها وبين الله حجاب.

(44)

-" تائهة أنا.. متقاذفة بين المعالي وبين يسير ما تستمر به الحياة، إنه الاختيار الصعب..»

- يا ابنتي،

أليست الجذور من تحدد إن كان علينا أن نعانق قامة السماء أو أن نبقى فسيلة غائضة في عضيات قلوبنا المترنحة بين العمق والسطحية، بين

المعاني والمواد، بين الموت والحياة؟

تفقدي جذورك.. يسهل عليك الاختيار.

(45)

يا ابنتي،

احرصي على نفسك بنفسك، ولا تنتظري أن يحافظ لك عليها غيرك.

(46)

لا يأس ولا كلل ولا ملل.

كلما سَقَطت فانهضي وأعيدي الكرّة، وكلما أعياك حلٌّ فجربي غيره.

وهل تسمى حياة تلك التي لا تستقي كنهها من الجرأة على المحاولة ؟

إنما هي تكرار ممل للصباحات والمساءات تجرنا لإنهاء الرحلة.

(47)

"مللت الأحلام.. حلمي أن أتوقف عن الأحلام.."

ولم ذلك يا ابنتي؟

سنحلم، وسنوجع المساء أحلامًا، وسنثقل الصبح آمالًا، وسننقش كل أمنياتنا في قلوبنا التواقة لابتسامة الفجر الندي، نوشيها بدعوات صادقة دامعة مجهشة بين يدي مجيب الدعوات وجاعل الأحلام والأماني دوحة

الأرواح المتعلقة بأهداب رجائه وحسن الظن فيه.

وسنحلم مادام ليس للدعاء تاريخ صلاحية.

(48)

وما الغفلة يا ابنتي؛ إلا أن تأتينا رسائل الغيب فلا نكلف أنفسنا استيعابها.

أن يأتينا الألم والمرض كي يطهرنا من عفن الذنوب وأدران المعصية؛ فنأبى إلا أن نركب المعصية وتركبنا.

أن نتلبس بالذنب، لنعلم معنى الستر والانكسار والتوبة والانطراح بين يدي التواب الرحيم، لكن نستمرئه ونستلذ استمرارنا عليه.

أن يُسَخِّر لنا الله من خلقه من يشدون على أيدينا، ومن ينبهوننا، ومن يبذلون لنا النصح، فنمرعليه وكأن لم يخترق مسامعنا.

أن نذنب فنعلم أنه ذنب، ويفتح علينا الله بالبصيرة فتتألم قلوبنا لحظة، ولكن عِوضَ أن نسأل الله العفو والستر والمغفرة، وعوض أن ننطرح بين يديه في صدق متهمين النفس بالتقصير، متوسلين له بقوته وضعفنا، وعفوه وظلمنا أنفسنا، نعلل لأنفسنا وقوعنا فيه، ونبحث عن كل التبريرات التي تجعلنا نقترفه مرة أخرى من غير ألم قلب ولا وخزة ضمير.

أن نذنب ونتستر عن الخلق دون الخالق، وأن نجعله سبحانه أهون

الناظرين إلينا، فيكشف الله طويتنا، ويظهر سريرتنا لأقرب الناس إلينا دون غيرهم عَلَّ الصفعة تفيقنا، ويعامل جحودنا بلطفه علَّنا نرعوِي ونعترف ونتوب ونحسن ونصلح. لكن يغرنا لطفه فنتمادى، ويجرّئنا حلمه ورفقه فننشئ لنا صفحات مكرورة من نفس الذنب.

الغفلة يا ابنتي؛ أن نسدر في الخطأ، وأن نستمر في الغي، وأن يكبلنا الجحود والعناد.. أن تسرقنا الفتن، فننسرق لها، وأن تطوقنا النقم فننيخ لها المطايا، وأن تكبلنا الشهوة فنستعبد لها.. أن نعلم مواطن فتنتنا ونحدد من أين نؤتى؛ فنمارس العمى كي لا نرى بعين البصيرة هوانا. فنحب ما نحن عليه ، ونفتخر ببطولاتنا فيه، ولربما دعونا له فضللنا وأضللنا، فنبوء بإثمنا وإثم من دعوناهم إليه.

أن نستفيق للحظة، لكن تلك الفتيلة التي جعلت لتضيء ما حولنا، نعمي بنارها أبصارنا ونستلذ ببؤرة الظلام.

الغفلة يا ابنتي؛ أن نعلم أن الوفود على عليم رقيب سميع بصير محيط شهيد مهيمن حفيظ، وألا نهيئ جوابًا كافيًا مستوفيًا مقنعًا لما نحن عليه إذا ما بادرنا ملك الموت، وحضر الوقوف بين يدي الآخذ بالذنب شديد العقاب.

أن ننسى في خضم الفتنة أن نسترجع الأنفاس، وأن نخطط للنجاة فنهيئ جوابنا.. جوابًا منمقًا مزوقًا مرتبًا بليغًا كما نفعل في الدنيا، وأن ننسى أن الوفود على عليم، وأن الشهادة يومها ممن أنطقها الذي أنطق كل شيء.

(49)

أتدرين يا ابنتي ما الرحيل؟

أن نودع كل يوم صباحاتنا ومساءاتنا ولحيظات الفرح وسويعات الحزن دون أن ندرك أنها نحن وأنها لا تعود وأننا لن نعود.

أن نشغل أنفسنا كي ننشغل، وأن نمرر الأوقات كي تمر.

وأن نعمل وأن نعمل، وكل ما فينا وكل ما حولنا يعمل فينا.

أن نعلم أن الدرجات تبغي تشميرًا فنتقاعس، وأن الدركات حوطتها كل تلك الأمنيات التي نروم أحيانًا اختصار الطريق لتحقيقها فنتوه ونتوه.. وتتوه عنا، لكننا-رغم كل شيء- نظل نلاحقها.

أتدرين ما الرحيل يا ابنتي؟

أن نرى أنه قد سقط من أوراقنا الكثير، وأن ما تبقى وإن كثر قليل، وأن نرى حولنا من يتساقطون كل لحظة، ومن يودعون أحلامًا كانت مثل أحلامنا، فنغمض- رغم كل شيء- العينين ونبتسم ونمضي في دروب لهونا.

ونضع- رغم كل شيء- الفسيلة لا نزرعها.

(50)

يا ابنتي،

قد نجتهد في دراسة العقيدة ومصنفات التوحيد، وقد نجد في أنفسنا خفة ونشاطًا لالتزام السنن ومحاربة البدع، وقد نتنبه فعلًا إلى ضرورة ذلك

وأولويته، لكننا قد نسقط- لولا مدد الله وهدايته وكلؤه وتوفيقه- في شهوة تنسينا اتباع الأمر واجتناب النهي، وفي هوى يدفعنا للرياء والسمعة، وفي غفلة تبني أسوارها على القلب وتنسج حجبها عليه.

ومنا من سيتحايل على الرخص، ويخطط ليرتع حول الحمى أو لربما ليرتع فيه، ومنا من سيُنَظّر للمعصية ويجعل منها كبائر معروف حكمها، وصغائر لا بأس من اقترافها ما دامت العقيدة صحيحة والمنهج سليمًا، ومنا من سيغتر بثناء من حوله عليه، أولئك المنبهرون ببيانك وحلاوة لسانك، المغرورون بستر الله عليك وعدم فضح سريرتك وكشف طويتك.

ولا منجى لنا من هوانا وشيطاننا ونفسنا الأمارة؛ إلا بطلب الغوث من المغيث، وبتوبة متجددة تمسح عنا أدران العصيان وتفتح لنا قناطر الإياب، وبالتزام الصراط المستقيم عملًا ودعاءً للبقاء عليه حتى نلقى على ذلك ربنا.

(51)

استجمعت كلماتي ورصصتها كي تكون قوية وحانية في نفس الوقت. قررت أن أكلمك عن حال الدنيا وبأنها دار كبد، وعزمت أن أذكرك بالصبر وبالرضا، وقلت أجلس معك ساعة زمن أُطيِّب خاطرك وأسلّيك وأشغلك عن التفكير في وجعك.

دخلت عليك غرفتك كي أنثر بين يديك بعضًا مما جاش في صدري وألقنك بعضًا من ذاك الذي مازالت تلقنه لي الحياة.. وجدتك سارجة في

أنداح السكينة ترشفين من عبق القرآن، فوقفت مرتبكة. قد لقنْتِني أنت يا ابنتي درسًا جميلًا في اللوذ بالله وفي إناخة المطايا ببابه. وروحك التي كانت منذ سويعة فقط تضج وتمنع عنك السكون، قد هدأت.

إنما ضجة الروح يا ابنتي من حاجتها للرواء.

وهل أفضل من القرآن لها رواء!؟

(52)

أتعلمين يا ابنتي؟

أهون ألف مرة أن يظنوا فيك الشر، ثم يعاشروك ليمضوا ما تبقى من عمرهم يعضون أناملهم على سوء ظنهم بك؛ على أن يتوسموا فيك الخير ويظهر لهم منك كل حسن وجميل، حتى إذا ما اقتربوا منك فُجعوا، واضطروا إلى أن يكملوا ما تبقى من حياتهم حسرة وكمدًا على أن أنزلوك فوق منزلتك، وألبسوك ثوبًا يكبرك، وتوجوا هامتك بتيجان لست أهلًا لها.

(53)

سمعت يا ابنتي حوارك مع صديقتك وكيف قطعت عليها الاتصال، فنبهتك، ثم ها هي ذي صديقتك الثانية تعاملينها بنفس الشيء فقط لأنهما عاملاك من قبل بنفس الطريقة، وانشغلا عنك ولم يعطياك حقك في الحديث إليهما حينما كنت في حاجة لذلك. وهل لأنك نكبت ولدغت من

ذات الجحر مرتين أو ربما مرات، سيغير ذلك من طبعك ومن مبادئك ومن نظرتك للأشياء؟

تأخذين بالأسباب، وتبنين رؤاك على فهم صحيح لما هو مطلوب منك تحقيقًا للعبودية وامتثالًا لأمر الله في معاملتك غيرك، وتتوخين الحذر وتعلمين أن لدغتك تمحيص، ونكبتك ابتلاء. تحاولين استيعاب الدرس، وتمضين في طريقك رافعة لواء الحق والأخلاق والعدل والخير والطيبة.

أنت بربك، ومع شرع ربك.. وليس لنعيق ولا لزمجرة أن تعوق مسيرك، أو أن تغير مبادئك.

(54)

احذري أن تكوني ممن له تأثير على من حوله، فزهَّد الناس في الأمل وفي رجائهم في ربهم، أو ممن فتحوا لهم أبواب الحياة على مصراعيها يركضون فيها ركض الذئاب.

واحذري أكثر أن تكون أفعالك وأقوالك سببًا في جعلهم يكرهون دينهم، أو يفقدون الثقة– بتصرفاتك – في المنتسبين إليه.

(55)

كلما صادفت– يا ابنتي– من يخالف الحق ومن يتبع الهوى ومن حاد عن الصراط؛ فادعي له بالهداية، ولك مثل ما دعوت به. واشكري الله على

نعمة العافية، واحمديه تعالى على الهداية والتوفيق، وتذكري أنك كنت ذات يوم تلك الحائدة وتلك المقصرة- وكلنا مقصر لولا لطف الله وستره وعفوه سبحانه.. ولولا فضل الله ومنته لما اهتديت ولما علمت الحق من الباطل، فعلام الازدراء والنظرة الشزراء وعلام التعالي والتباهي؟

(كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم)

(56)

يا ابنتي،

لا شيء أبلغ وأصدق وأكثر إنجاء من الصمت ونحن نرى مجريات الأحداث حولنا، فإن من تكلم فيها طال كلامه ، ومن استشرف لها استشرفت له.

فلنؤت الناس ما نحب أن يؤتوه إلينا، وليسعنا جذع شجرة إن لم تسع حناجرنا ألسنتنا.

(57)

أتعلمين ما الصبر يا ابنتي؟

الصبر حبس للنفس عن الجزع من أقدار الله، وإرغام لها على التطواف بين جنبات الأمل، وتفعيل فيها لمعاني قوله تعالى(لاتدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا)ورياضة على عبادة الانتظار، انتظار الفرج. (واصبر وماصبرك إلا بالله) «ومن يتصبر يصبره الله».

(58)

الرحمة الرحمة بالمقصرين يا ابنتي، وكلنا مقصرون.

قد سمعت يا ابنتي تلك القريبة التي اختارت تجمع كل العائلة لتفرغ نصائحها على الملأ لقريبتها، محملة كلامها من الهمز واللمز ما يجعلها تصل لخلاف المرجو من النصيحة وإن سلمت نيتها.

قالوا: "نصيحة وليس فضيحة" وهم يتحدثون عمن اختار أن ينصح أخاه علانية بما لا تستقيم معه مقتضيات النصيحة والغاية منها، فماذا عن هذه الفضيحة وهي تستقي كنهها من الهمز واللمز والاستهزاء والتنكيت؟

قد أردفت الإثم على الخطيئة.

احذري يا ابنتي أن تكون لك في طريقتها قدوة. سيعجبون حتمًا بكلامك المغرق في «خفة الدم»، وحتمًا ستضحكينهم.. ستسلينهم وستنتشين لتصفيقهم لك.

فقط لا تنسي أن القدوم على من يعلم السر وأخفى، الديان الذي يحكم بين عباده فيما هم فيه مختلفون.

ولا تنسي أن خصمك يومها دونهم محمد- ﷺ- وأنما وفاء الحقوق يومها ليس بالدينار والدرهم، وإنما بالحسنات والسيئات.

(59)

يا ابنتي،

وحدهم أولئك المطلعون على عوالم الأعماق، الشفافون مع أنفسهم ابتداءً، المدركون لمعنى الضعف في النفس البشرية، من يفهمون نوايانا وإن أخطأنا ويتفهمون إنسانيتنا وضعفنا، ويعذرون انزلاقنا غير المقصود.

وأما من يصولون ويجولون لمجرد كبوة غيرهم، فلا ينسوا أن الدور عليهم، ولا ينجيهم من ذلك إلا أن يبيتوا إنسانًا ويضحوا ملائكة، أو يصيبهم العته فيرفع عنهم القلم.

(60)

ما أعذب كلماتك يا ابنتي.. وأنت تعتذرين لصديقتك. ماأجمل الاعتذار! وما أجمل سماحة النفوس حينما تحسين بخطئك تجاه أحبتك فتبادرين إليهم ليحلُّوك مما قد بدر منك من غير قصد، وليعذروك إن كنت قد أسأت لهم من حيث لا تدرين، فتجدينهم يبادرون لنفس الاعتذار.

كلمة بسيطة على من وفقه الله إليها : "اعذرني" أو "آسفة" فترجع المياه لسواقيها والوداد لسالف عهده.

أدام الله الود والمعروف بين الإخوة، وجعلهم ممن يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله.

(61)

هي حياتك وسعادتك يا ابنتي، إن لم تدافعي عنها أنت فلا تسألي غيرك أن يفعل ذلك لأجلك، فما ناء بحمله جيدك أنت؛ أولى بجيد غيرك أن ينوء به.

(62)

لا مستحيل على الله يا ابنتي.

لكل عقدة حل، ولكل عائق تحديات، ولكل بيت موصد الأبواب، شبابيك مواربة تنتظر من يداهمها ويقتحم الفضاء الرحب عبرها.

عزيمة فخطوة فقفزة عتيدة عالية.

وسهام الليل تقرب البعيد.

وسجدة قلب بين يدي الكريم، تجعل لكل الأسوار سلاليم لارتقاء المستحيل.

وتفويض الأمر للوكيل سبحانه، يهدهد الروح المضطربة، ويغرق في الأحلام المخملية من يعشق الأحلام.

(63)

"أراني تارة يا أمي أسبح في نور ربي. ذكره يلازمني ولا أغفل عن كتابه يومًا، وتارات.. أجد نفسي ثقيلة خاملة. فما هذا الذي يعتريني؟»

يا ابنتي،

إنما فُطرنا على أن يتجاذبنا تارة ما نستمد منه النور، وتارة ما يهوي بنا للطين. ولو أننا استفقنا يومًا فوجدنا كل همنا شكرًا وذكرًا وحسن عبادة وتشوفًا لرضا الله دون أن يعكر علينا الشيطان والأمارة بالسوء صفاءنا ونورانيتنا؛ لكان حفي بنا أن تصافحنا الملائكة في الطرقات،أو أن نُرفع معهم للعبادة.

إنما نحن إنسان، نسدد ونقارب وكل رجائنا في الحليم الكريم الغفار الجبار أن يوتينا من بحار كرمه، وأن يغفر زلاتنا، وأن يجبر ضعفنا وكسرنا.

فليكن حذرك من تفلت كل زمامها منك، ولتكن فترتك إلى سنة جديدة، وعلى تسديد ومقاربة*.

(64)

يا ابنتي، لو أن بنا من قوة وجلد وحكمة؛ لانصرفت قلوبنا حال المحنة من النظر في تفاصيلها إلى تدبر عواقبها، واستشعار بر الله الذي يصلنا بلطفه ورحمته من حيث لا نشعر، وولايته لنا سبحانه يكلؤنا ويحفظنا ويرعانا ويسخِّر لنا من عبيده من يخفف عنا ومن يمشي في حوائجنا.. لكنه الإنسان الكنود المجبول على الضعف.

فاللهم أصلح لنا شؤوننا كلها ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

---

* قال رسول الله ﷺ: (لكل عمل شرّة،ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد أفلح، ومن كانت على غير ذلك فقد هلك." صحّحه أحمد شاكر

(65)

يا ابنتي، نحن فتنة لبعضنا فلنحذر.

من أول لحظة يرفع فيها عنا القلم بعد موتتنا الصغرى؛ تبدأ رحلتنا الشاقة مع المكابدة والمجاهدة.

نحن ابتلاءُ وفتنةُ بعضنا البعض، فلا نكن للشيطان عونًا على أنفسنا وعلى إخواننا، ولا نعسر على بعضنا الامتحان.

(اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السماوات والأرض، رب كل شيء ومليكه،أشهد ألا إله إلا أنت،أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أجرَّه إلى مسلم).

(66)

إذا ما رماك بحر الحياة إلى مفترق الطرق، لا تقفي مكتوفة الأيدي.

استشيري، استخيري، توكلي على الله واختاري طريقًا.

لكن تحملي تبعات اختيارك وقرارك، وتيقني أن الذي استخرته سبحانه، سيختار لك يقينًا ما يصلحك وإن خالف مرادك.

واعلمي أن بعض الطريق ورد، وبعضه شوك وصبار.

ولا تبتئسي إذا ما تقاذفتك السكك، وسكنتك الأوجاع، فرب شوك قَوِي به عودك، وصنع شخصك، ورب صبار قنسرك وجعلك تنضجين قبل الأوان.

(67)

رزْقُك يا ابنتي من كل شيء قد كفله الله لك، فاسعي إليه بالحلال.

فإن ما بيد الله يُطلب توسلًا وانكسارًا، ولا يؤخذ بحالٍ غِلابًا.

(68)

وهل كل من فشل فاشل؟

أتعلمين ما الفشل يا ابنتي؟

أن نسقط ونسقط ونسقط دون أن نعلم كيف ننهض وكيف نتفادى مرة أخرى السقوط.

أن نخفق في اختيار أساليب النجاح، و أن نغمض أعيننا عن إخفاقاتنا كي لا نتألم. نداهن أنفسنا ونزعم أننا نحميها من الإحساس بالخيبة.

أن نقف مكتوفي الأيدي ونحن نرى بنياننا أمامنا ينهار دون حراك لإنقاذه.

الفشل يا ابنتي.. إحساس بالفشل، واقتناع تام بعدم نجاعة شيء من أجل تخطيه.

وتبقى نظرتنا للفشل وتصوراتنا لمعايير النجاح، ما يحدد نجاحنا أو إخفاقنا.

(69)

ليس النجاح يا ابنتي أن تحصدي الشواهد، ولا أن تترقي في الألقاب، ولا أن تختمي حفظ كتاب ربك، ولا أن تبرعي في حفظ المتون، وتتباهي

بكم الكتب التي حصّلت بها علمًا وثقافة. النجاح يا ابنتي أن تكوني مبادئ تمشي على الأرض، وقرآنًا يُنتهج في السراء والضراء.

أن تعلمي متى تُقدِمين ومتى تحجمين، ومتى تتكلمين ومتى تصمتين.

أن تحني تارة رأسك للعواصف تنتظريها أن تمر، وأن تجابهي تارة ما لا ينفع معه استكانة ولا خنوع.

أن تفعلي ما تقولين وألا تقولي إلا ما تفعلين. ألا تزكي نفسك، وألا تري لك فيها شأنًا.

أن تنظمي وقتك وأولوياتك، وأن تجعلي من فشلك فرصتك للترقي وللنجاح.

النجاح يا ابنتي، أن تكوني أمَة تنفع أُمّة.

(70)

ويا ابنتي، لا تخذلي من توسّموا في شخصك الخير، وعوَّلوا على إمدادك لهم يد العون بعد الله، ولا تبرري تقاعسك عنهم وتماطلك عن الخير بعدم القدرة وبفراغك مما يمكن فعله.

ولا تتحججي بمقولة: (فاقد الشيء لا يعطيه)، فخذي عني أنها مقولة مغلوطة في أحايين كثيرة؛ فلطالما آمنت وكنت جد مقتنعة أن من فرغت جعبته من شيء فيستحيل أن يجود به؛ لكنني بتُّ متيقنة الآن وقبل أي وقت

مضى بأن هذه العبارة ليست على إطلاقها، وبأن فاقد الشيء قد يعطيه، وقد يملأ الدنيا بما لم يُعط هو، وبأن الكثير من المفارقات هي ما تصنع التكامل وترسم جمال الحياة.

نأخذ الحكمة من أفواه السفهاء، ويعلمنا الفاشل كيف ننجح، ويقودنا المنهزم إلى قيادة المعركة ببسالة وجسارة وانتصار، وكل منهم قد فقد ما فقد في ميدانه، لكن المفارقة أبت إلا أن تجعل من كان من المفترض أن يكون سالبًا؛ أن تجعله فعالًا نافذًا مؤثرًا دافعًا للمركبة.

كوني إيجابية يا ابنتي وانفعي بما تقدرين عليه، ولا تبخسي من صنائع المعروف شيئًا. ما لم تقدري على إنفاذه بيديك فليكن بلسانك وطيب كلامك.. بالتبريك في السراء والمواساة في الضراء. ولتكن أخلاقك وطيبة قلبك، أكبر معين لمن احتاج منك بعد ربه العون.

(71)

حكت لك عنهم وأسهبت، وذَّمت وعيرت، وجردتهم من معايير الإنسانية، وأنت ساكتة تنصتين. لربما وافقتها ولو سرًّا. لربما انزعجت من كلامها ومن كثير حكيها وشتمها، لكنك لم تردي غيبتهم، ولم تبدِ لها عدم اقتناعك بما تقول. تراها أقنعتك بتغيير نظرتك لهم ؟ تراك انتشيتِ وهي تمدحك وتذمهم، وتكبرك وتنتقصهم، وتحفر لهم خنادق الدون، وتشيد لك أبراج السمو؟

يا ابنتي،

حكيها لك عنهم في غيابهم تخطب ودك، يعني حكيها لهم عنك في غيابك تطلب قربهم. ذلك ديدن المتملقين المداهنين؛ فاحذري يا ابنتي.

ليكن منك دفع الأذى عن الناس بنصرهم في غيابهم كما تحبين أنت أن يفعل معك. هو تحقيق لمبدأ التواصي بالحق، ونصح لها بالإقلاع عن أكل لحوم من حولهم، ودفاع عن أولئك الذين منعهم الغياب عن فعل ذلك بأنفسهم.

(72)

أتعلمين يا ابنتي؟

لو استقبلت من أمري ما استدبرت؛ لكان مشواري في الطلب خلاف ما مضيت عليه، لكن قدر الله وما شاء فعل. أولويات كثيرة لم أعلم قيمتها إلا بعد سنوات، وتعثرات بسبب عدم حسن الاختيار.

فلتعلمي يا ابنتي بأن الحياة قصيرة، أقصر مما تظنين، وبأن فرصها لا تسنح في كل مرة، فاختاري الأهم في دراستك وطلبك العلم، وابدئي من حيث يجب أن تبدئي، وليكن القرآن الكريم أول ما ترعينه اهتمامك. الحفظ مهم، لكن التدبر أهم. استفرغي جهدك في التأمل والتدبر، واعلمي أن الله يصدق من يصدقه، وأنه يفتح على كل من جد وكد لتفهم وتذوق كلامه البديع سبحانه. ولا تنسي حظك من اللغة العربية؛ فهي مفتاح العلوم و نبراس الفهوم.

(73)

ولست أرى يا ابنتي- بعد الإخلاص والجد والفطنة واللمح وتوقد الدهن- من وسيلة لصناعة طالب علم بمرتبة عالم؛ سوى الموسوعية واتساع الثقافة وقبلها الصدر للآخر. وتبقى شخصية الطالب وثقافته واتساع أفق رؤاه وميولاته وتوازنه النفسي،عاملًا أساسيًا في الفهم والتعامل مع جزئيات العلوم.

قلة علم وقلة بصيرة واطلاع وعرج في الاستنباط والتحليل، وضيق الرؤية والصدور وجعل الطلب غاية وليس وسيلة، والاهتمام بالكليات على حساب الجزئيات، والسرعة في الإنجاز وفي إرادة الوصول؛ قد صنعت طلابًا لكن على شاكلة الكثيرين ممن خُذلنا فيهم.

قد لا يتكرر نموذج ابن تيمية بحذافيره، ولن يتكرر لأننا لا نؤمن بفكرة الاستنساخ، لكننا بحق في حاجة لمن يفرغ نفسه لتمرينها على الموسوعية وعلى التفتح الذي لا يعني بحالٍ التلوَّنَ في الدين.

كوني موسوعية يا ابنتي، واجعلي بحثك واهتمامك بكل ما يدور حولك من علوم وآداب، وليتسع أفقك بالمطالعة، يتسع معه عمقك في التفكير.

(74)

من الخطأ يا ابنتي أن نحكم على غيرنا- وأخص الحديث هنا عن الكاتب- من خلال ما يقال ويذاع، فكم من الخير قد أخطأناه بسبب قدح في كتاب أو ذم لكاتب.

وكم من سنوات أمضيناها لا نقرب إبداعات كتّاب بأعينهم فقط لأنه قد تم نصحنا خطأ بالابتعاد، فنفوا حقه في التعبير وحاموا حوله بالتشكيك والاتهامية، لنكتشف بعد سنوات– قدرًا –أننا أغمطناهم حقهم، وبأننا حرمنا أنفسنا متعة الإبحار في إبداعهم، وضيعنا عنا فرصة النهل من ثقافتهم وعلمهم وأخلاقهم.

العقلية الإقصائية يا ابنتي لا تنشئ بحال فكرًا متوازنًا. صاحبها لا يرى إلا نفسه، ولا يعترف في الإبداع بغير ذاته، ويتصور بأن الحقيقة والحق حكر عليه.

(75)

كثيرات يا ابنتي يحلمن بالزوج الرائع : طالب علم متفتح، مجد في طلبه، ويقرأ قصصًا وروايات، ويحسن التعبير والنقاش في كل أمور الحياة، وسيم، أنيق، مثقف، موسوعي، محب، خلوق، حيي، عاطفي، ودود، لبق. تلك أمنيات الكثيرات.. يسألن جنة على الأرض.

وقد يتحقق لهن فيه الكثير من ذاك، لكن تراهن هن كما يحب هو ويريد؟ تراهن قد حققن في أنفسهن ما يطالبن به غيرهن ؟

كوني يا ابنتي كما تحبين أن يكون لك غيرك، ولا تطالبي بالكمال مادمت أنت أيضًا لا تستطيعين أن تكوني كذلك.

(76)

يا ابنتي،

وما الحياة إن لم نكن لنعيشها بعمق في كل تفاصيلها؟

وماعيشنا إن لم تكن لكل لحظة آنية عندنا؛ اتساع مساحة لحسن استقبال ما تلقيه الحياة في طريقنا؟

نحتاج إلى من يتذوق الحياة لا إلى من يعيش، وإلى من يتذوق الكتب لا إلى من يقرأ، وإلى من يُقدِّر قيمة الأشياء لا إلى من يقتنيها.

نحتاج إلى أن نفارق السطحية وأن نغوص في كنه الأشياء.

(77)

من آفات "الانخراط" يا ابنتي، أن تقبلي مفتخرة بعمليات غسيل المخ، وأن تصبحي منقادة لكل ما يملى عليك، فلا تري إلا من زاوية رؤيتهم، وأن تقبلي بتعطيل عقلك وأنت فرحة منتشية بذلك، وأن تضطري للذوبان في الجماعة ولو على حساب مبادئك وتصوراتك وقناعاتك، بل أن تصيري بلا قناعات ولا مبادئ ولا تصورات عدا تلك التي يحشون رأسك بها.

ارفضي التنمط يا ابنتي، وابتعدي عمن يريدون قولبتك، أولئك الذين يعيشون كما الزئبق، لا تختلِط أفكارُهم بتجارِب الآخَرين، فقوة تَمسُّكهم بآرائهم- ولو كان خطأ- أكبرُ من قوة الْتصاق الحق بآذانهم.

أولئك الذين يعتبرون كل من لا يرى الدنيا من نورِ أعينهم فاشلًا أو تافِهًا، أو لربما مارقًا يستحقُّ الجلد والتعزير.

(78)

وبين "التحرر" و"التفلت".. وبين "التفتح" و"الميوعة" شعرة.

وفي الاختصار غنى عن مزيد تفصيل، فاسمعي عني يا ابنتي وَعِي.

(79)

التواضع يا ابنتي شيمة الشرفاء الشامخين، فاحذري أن تتلبس عليك مع إصغار النفس والتذلل المقيت. واعلمي أنه ليس هناك تعارض بين التواضع وبين الثقة بالنفس وعلو الهمة.

(80)

قوم قد جعلوا حفظ القرآن مطية لنيل الحظوة في قلوب الناس، وجعلوا من النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رداءً يلبسونه إذا ما خاطبوا غيرهم، وينزعونه كلما تعارض وميولاتهم وحاجياتهم وما تهوى نفوسهم.

قوم يا ابنتي قد عطلوا حكم الله في نفوسهم، وألزموا غيرهم به. وأقاموا على الناس الحجة، ولم يقيموا دين الله في ذواتهم.

قوم إذا ما تكلموا صفقت لهم، وإذا ما نظرت إلى أفعالهم رأيت إبليس في حلة واعظ ولباس زاهد متعبد حكيم.

قوم تلبسوا بالحكمة وهي منهم براء، وتصدروا للنصح وهم أحوج ما يكونون لنصائح تقيهم شر نفوسهم المكسورة وأرواحهم الغائضة في الخسة والنذالة.

قوم قد تدثروا من استذئابهم بمسمى إنسان، فأبت الأيام إلا أن تكشف سرائرهم وأن تظهر خباياهم وما تخفي صدورهم.

لا يكن لك منهم تشبه يا ابنتي، واحذري أن تكون لك نفس نهاياتهم. فإن الستير قد يفضح، والحليم قد يأخذ بالذنب فيكشف السرائر وما رامت إخفاءه الصدور.

والغفار إنما يغفر لمن كسره الذنب، وعلم أنه قد أنشأ حاجزًا بين مقاله وحاله وفعاله، فعاد تائبًا آيبًا خائفًا من العود ومن عدم قبول توبته، لا لمن أخذته العزة بالإثم، وجعل لسانه حاجزًا بين عيوبه وعيون من رأوا الإبداع في الفكرة، والجرأة في الطرح، والتميز في الأداء فظنوه إخلاصًا وصدقًا. وأبى الله إلا أن يجعل سيرته أحاديث وسريرته كشفًا منشورًا.

(81)

لا تتحدثي بنعمة ربك عليك أمام من فقدوا تلك النعم يا ابنتي؛ فإن في حديثك أمامهم إيغار لصدورهم عليك، وجرهم للغيرة وللحسد وللضغينة، ولربما لسخطهم على ربهم وعلى قدره الذي اقتضى في حقهم المنع لحكمة لا يعلمها إلا المعطي المانع سبحانه.

(82)

قد كانت اليراعة منذ صغرك صديقتك، والدفاتر نجع بوحك، والحرف مؤنس وحدتك كلما أحست روحك بذلك الجفاف منهم.

اختاري لدفترك ما ترصعين به بياضه، فإن الكلمة عهد ومسؤولية.

كلمة ترفع صاحبها درجات، وكلمة تهوي به في دركات جهنم.

كلمة تجمع روحين وقلبين وتبني أعشاش السعادة، وكلمة تفسخ عقدًا وتشتت شملًا، وتجعل الأخلاء من بعد الوفاء أعداءً.

كلمة تنبعث من روح طيبة، تجعل قارئها يحلق في سماوات النقاء والصفاء، وكلمة خبيثة من روح خبيثة تعكر صفوه دهرًا، وتجعل قلبه ينفطر لسم تنفثه في عروقه.

كلمة ترفع أقوامًا، وأخرى تسقطهم وتذلهم.

إنها الكلمة، مسئولية وعهد وأمان، ومرآة لأخلاقنا ولمبادئنا، فلتنتقي كلماتك بدقة يا ابنتي، واختاري ما يملأ صحيفتك وما تحبين أن تلاقي به الله.

(83)

أتعلمين يا ابنتي؟

المرأة طاقة معطلة بسبب الأفكار الخفاشية الظلامية الهادفة إلى تشييئها، وجعلها كدمية تخدم مصالحها. متقاذَفة هي بين أدعياء الالتزام

الذين لا يفهمون الأحكام ومناطها، ولا يستطيعون استيعاب التوازن في تربيتها وتعليمها، فرأوا أن الحل في إبعادها عن الدراسة، ونظروا إلى صاحبة الفكر والثقافة كمارقة لربما تستحق الجلد والتعزير، ورأوا منافستها لأخيها الرجل، أو لنقل تعاونها معه- ولو بضوابط الشرع- على إرساء قواعد مجتمع إسلامي سليم من الأورام التي باتت تنخر فيه؛ اعتبروها تملصًا من الدين. وبين أدعياء التحرر الذين يزعمون أنهم يدافعون عن حقوقها فتبيَّن- من غير شك ولا ارتياب- أنهم إنما يدافعون عن حقهم فيها.

رسالتك يا ابنتي أعظم مما يحيكون لك وأسمى مما يريدونك التلبس به، فكوني على حذر من مخططاتهم.

(84)

يا ابنتي،

بعض مشاريعنا انتثرت دقائق وساعات هنا وهناك. وبعضها فُكِّكت أيامًا وأيامًا. وتمر الشهور..وتمر الأعوام..

ونجدنا ما زلنا مغروسين في مرحلة "التخطيط من أجل التخطيط" لمشروع كنا يومًا قد رتبنا أنفسنا ليكون ما تفنى في سبيله الروح، وما نزين به الصحائف، وما نعمر به خراب القبور، فضاع في التسويف وزحام الحياة ونقمة الذنب.كم من المشاريع الموقوفة التي ما زلنا نتحين الفرص من أجل تحقيقها، ثم ما نلبث أن نتوه في زحام الحياة، ونسى أنها تُقتحم

ويخرج وقتها من الضيق. فهذا العمر المتصرم لن يقف بمحطاتنا ولن ينتظرنا كي نرتب حقائبنا. هو يحملنا على ما نحن عليه.

لا مكان للتسويف ولا للإرجاء يا ابنتي، ولا للانتظار حتى تسنح الفرصة.

(85)

يا ابنتي ما أجلها من قاعدة:

مع الأحزان التي نأبى إلا أن نجترها وأن ننبش عليها القبور ﴿**تلك أمة قد خلت**..﴾.

مع أناس قد خرجوا من حياتنا أو نحن من أخرجناهم بمحض إرادتنا ﴿**تلك أمة قد خلت**..﴾.

مع ذكريات مؤلمة تطفو فوق السطح من حين لحين ﴿**تلك أمة قد خلت**..﴾.

مع ظلم قد أطار النوم عن المقلتين ﴿**تلك أمة قد خلت**..﴾.

(86)

لاأثقل على القلب من أنصاف كل شيء. أنصاف الطرقات وأنصاف الحلول وأنصاف الذوات.

فإما أن تكوني يا ابنتي أو ألا تكوني. إما أن تعيشي الحياة بتفاصيلها الصغيرة، وإما أن تنكفئي على نفسك فلا تطلبين الحياة. إما أن تعيشي السجن الجماعي الصغير وتقبلين به، وإما فالسجن الانفرادي نعمة لمن عرف قدر النعمة.

أما أن تعيشي في البرزخ؛ معناه أنك تعيشين على هامش الحياة وخارج فصول الرواية.

(87)

كوني جشعة يا ابنتي، لا ترضي بالقليل، وارفضي القناعة في الإنجاز. إن كنت تستطيعين الحصول على المرتبة الأولى، فلا أحد سيعذرك ويسامحك أن تكوني في المرتبة الثانية.

واستثمري وقت حماستك واشتغلي وأنجزي؛ فإنك لا تعلمين متى تنطفئ.

(88)

انثري عصفك يا ابنتي على من حولك ولا تنتظري جزاءً منهم ولا شكورًا. ابذري وانتظري الزرع من الوهاب، ولا تلتفتي لجحودهم ولا إلى غياب امتنانهم؛ فأنت تعاملين ربك لا تعاملينهم، وتنتظرين شكر الشكور سبحانه الذي يعطي على القليل الكثير.

لا تحزني يا ابنتي على وردة رسمتها ولونتها ولم تستطيعي أن تستنشقي عطرها.. ارسمي وردًا واستنشقي شذاه من دروب الحياة.

(89)

كيف أنظم وقتي؟

سؤال قد يبدو لوهلة عاديًّا ولربما بسيطًا، لكن في حقيقة الأمر الإجابة

عليه تحتاج عمقًا ودقة؛ لأنه بعبارة أخرى يعني : كيف أرتب حياتي؟ كيف أرتب عمري؟ كيف أرتب قبري؟ كيف أنظم صحيفتي؟

يا ابنتي،

وقتك رأس مالك، و لا شح مطلوب ولا بخل محمود إلا في إنفاقه. تنظيمه والنجاح في ذلك أبلغ من النجاح في تحقيق مشاريعك، فلا إنجاز من غير تنظيم، ولا يمكن الحديث عن تنظيم الوقت في مبعد عن تحديد الأهداف وترتيب الأوليات. وكلما كانت أهدافك سامية نورانية؛ كانت الحاجة أمس إلى الدقة في الترتيب والتنظيم حتى يتم استثمارها بشكل صحيح، وبالتالي الحصول على ثمار نافعة بإذن الله.

لتكن بداية يومك صلاة وقرآنًا قراءة وحفظًا ومراجعة.احجزي لك مكانًا بين من سبَّحوا ومن هللوا ومن شكروا لله وكبروا. وتزودي بذلك على عبور يومك فإن لك في النهار الممتد تعبًا وكدًا وسبحًا طويلًا، ثم استغلي البكور وتفتح الذهن صباحًا لتهتمي بشأن دراستك، وشأن ترتيب البيت وأمور المطبخ. الدراسة مهمة خاصة في وقت اختلطت فيه الموازين وكثر العبث والجهل، حتى تكون لك نظرتك الخاصة للحياة وحتى تصححي المفاهيم وتفهمي المبادئ. لكن أعمال البيت لا تقل أهمية عنها؛ فأنت أنثى قبل كل شيء ومصيرك بحول الله إلى بيت زوجك، فماذا ستنفعك الدراسة والكشاكيل والأقلام وحدها وأنت أمية في أولى ما يجب

أن تتعلميه كي تكوني واثقة من نفسك ولكي تنالي الحظوة عند زوجك؟

جلستك وقرآنك، لا تتنازلي عنها تحت أي ظرف من الظروف، ولتعلمي أنه ما هو إلا تفريط يوم أو يومين حتى تعتاد النفس على الكسل وتستمرئ الخمول وتستعيض عنه بسفاسف الأمور؛ لأن النفس البشرية مجبولة على الدعة والراحة، ولا تتحرك إلا بشد الخطام وإلجامها.

وجلستك وكتابك لا تبغي عنها بديلًا ولو أهدوك ما أهدوك، فتلك وجبة العقل وبها سمو الروح واتساع الصدر والأفق.

صلواتك يا ابنتي حافظي عليها في وقتها، ولتكن هي ميزان الترتيب وتنظيم ساعات يومك والمركز الذي تحوم حوله الدائرة، واستمدي بركة الوقت من بركة توزيعها بشكل معجز على مدار اليوم من الخالق البارئ الحكيم سبحانه.

وقتك يا ابنتي؛ صندوق عملك وزاد قبرك وصحيفتك التي بها تلاقين ربك؛ فلتحسني إعماره وتنظيمه تجمل في عينيك الحياة، وتبتعدي عن الفوضى وتحسني بإذن ربك ملء صحيفتك وإعمار قبرك.

(90)

المنهجية وتحديد الأهداف، أهم خطوة في نجاح أي مشروع، والإخلاص وسؤال الله المدد ميزان النجاح الحقيقي.

لتجعلي أهدافك يا ابنتي نورانية سماوية، ولتسألي الله التيسير والفتح والبركة، فلا شيء يستحق الالتفاف حوله من زاد يبلغنا بإذن ربنا المآمن.

(91)

من ذاق طعم الحرية بعد طول حبس وعذاب، وتشوفت نفسه التائقة إلى الخلاص؛ سيرى في كل الأسلاك سجونًا، وفي كل الخيوط سياطًا، وفي كل الوجوه الجافية زبانية.

ومن كان حاله حب الرق والقهر والاستعباد، فلن يهنأ له بال إلا في قبضة التتار وقيد المغول وتسلط رمسيس العالي فوق الأرض في الواقع، المغرق في لجج الظلم والطغيان على الحقيقة.

لكل هدف ضريبة يا ابنتي، وللحرية والانعتاق والعيش السعيد في كنف العقيدة وإعلاءً لكلمة الله مهر ثمين يبذل فيه النفس والنفيس.

(92)

يا ابنتي،

بعض الناس قد أفسدوا عليك دنياك، فاحذري أن يضيِّعوا عليك آخرتك.

(93)

وتلك الرغبة المحمومة في تلوين ما تبقى لنا من حياة بألوان القوس،

ومغادرة القتامة التي كبلتنا، وتدارك ما فقدناه في رحلة الموت البطيء، تشتعل أحيانًا وتخبو أخرى، لكننا لا نعلم متى تكسر الجوانح وتفر هاربة من سجن التسويف والتأخير فتفرض علينا بذلك الحسم في أخذ القرار.

نحسن دهرًا مراودتها وخداعها وتصبيرها إلى حين، لكنها إذا ما فطنت بلعبتنا لم تمهلنا.. تحطم الحواجز وتكسر السلاسل وتسرق من مقلنا النوم ومن تفكيرنا ترتيب الأفكار.

فلنسْعَ لتنفيذ قراراتنا يا ابنتي اختيارًا، قبل أن يتلبس الاختيار بالاضطرار.

(94)

أحيانًا، نحتاج إلى بعض الأنانية وحب الذات رغم أنها تخالف مبادئنا، دفاعًا عن حياتنا وعن اختياراتنا. كوني معطاء يا ابنتي، ولتنثري محبتك وإيثارك على من حولك، لكن لا تنسي نفسك إلى أن تضيع منك في زحام البذل والتضحيات.

قليل أنانية من وقت لوقت لن يضر.

(95)

حروبهم المتجددة المتكررة علينا تحفزنا، تجدد فينا الطاقة وتمدنا بمزيد ذخيرة من أجل عبور جسور التحدي.

ثمة أناس يا ابنتي قد جُعلوا عثرة في طريقنا ليس من أجل أن نتعثر،

ولكن من أجل أن نتعلم كيف ننجح في إزالة العراقيل، وكيف نقفز في إتقان وثقة وحنكة على كل ما يعترض سبل نجاحنا.

(96)

تريدين قهرهم؟

حققي مشاريعك وابذلي قصارى جهدك من أجل النجاح.

يريدون أن يتفرجوا على طللك الذي راموا تحطيمه بمعاولهم، ينتظرون بفارغ الصبر أخبار إخفاقك وعدم قدرتك على المواصلة من غير وجودهم، ويترقبون فرصة التشفي على أحر من الجمر.

استعيني بالله يا ابنتي واخذليهم. رتبي مشاريعك، واسعي واثقة لأجل تحقيقها.. انجحي وتفوقي واستمتعي بنشوة الإنجاز. مزيد قربك من الله مشروعك الأول وهو يذلل لك الصعاب.

عطاؤك اللامتناهي لمن حولك، تحصدين قطافه محبة وتوفيقًا واتساع صدر وازدياد رصيد مشاريعك في الحياة. قومي وانفضي عنك الغبار، وابتسمي لرحابة الحياة واكتبي سطور خيبتهم نجاحًا وثقة بما عند الله.

(97)

أن تكون حياتك مخالفة لما راموا لك أن تكون، يحتاج منك أن تدفعي مهر اختيارك .تحملي يا ابنتي تبعات التميز وادفعي مهر المزايلة.

(98)

وفي خضم الحياة، تتشابك الأحداث وتتداخل المشاكل وتبقى الروح ماثلة بين شِباك الهموم. تتبعثر وتتداخل كما كبة خيط منقوضة، ويعجزنا تشابكها عن فك شفراتها والبحث لها عن حلول.

يا ابنتي،

إن لم تستطيعي حل كل مشكلاتك.. فأعيدي ترتيبها على الأقل.

(99)

يا ابنتي،

قراراتنا يكفي أن تكون سليمة ومحكومة بشرع الله لتجعلنا أكثر جرأة وأكثر جسارة وأكثر استعدادًا للدفاع عنها.

طموحاتنا تخصنا وحدنا، وليس لغيرنا أن يحجر عليها.

امضي ولا تلتفتي، وتحملي تبعات قراراتك، ثمة اختيارات لا ترضى إلا بدفعك مهرها.

(100)

يا ابنتي،

الحياة مليئة بالمتشابهين وبالعاديين وبالذين قد خرجوا منها كما دخلوا إليها. بل بعضهم قد كان عبئًا عليها وما زادها غير خبال ووبال وعاث فيها بالفساد.

يا ابنتي، إما أن تكوني،أو ألا تكوني..

إما أن تعيشي الحياة بتفاصيلها الصغيرة وأن تكوني عنصرًا فاعلًا فيها ورصيدًا وقيمة مضافة إليها، وإما لا تدوني اسمك بين من عبروا دروبها، واكتفي بسجل الوفاة حين الوفاة.

إما ان تكوني مشروعًا ناجحًا، و قرارًا مثمرًا.. وإلا فإنك عبء يثقل كاهلها؛ خسارة في حقه مسمى إنسان.

(101)

كثيرًا ما تتساءلين يا ابنتي: كيف أميز بين الاسترجال وقوة الشخصية؟

هذه المسألة من الأمور المهمة التي تغفل عنها النساء. كيف تكون ذات شخصية قوية، دون أن يمس ذلك بأنوثتها ودون أن تسقط في الاسترجال.

قوة الشخصية لا تعني الندية ومنازعة الرجل رجولته، ولا تعني الصوت العالي ولا الجرأة التي تصرفها عن الحياء؛ لأن الأنوثة في معانيها، قوة في ضعف، وضعف في شموخ، وخضوع في حضور شخصية، واستكانة من غير مسكنة، واستمتاع بالضعف الطبيعي الذي فطرها الله عليه، واعتباره دلالًا في وجود الرجل القوام، بل ترفًا لا تحظى به إلا كاملة أنوثة في كنف كامل رجولة.

(102)

وما الحكمة واعتناق فلسفات الحياة سوى جرعات ألم، وما البصيرة وما اليقين وما انكشاف أستار الحقيقة؛ سوى لحظة وجع معتق تنقشع فيها حجب أسرار اللطف والرفق والمعية.

(والعافية أوسع لنا)

(103)

ياابنتي،

وجود نماذج وصور مجتمعية سيئة بسبب عدم استيعاب حكم ما، أو بسبب عدم الاعتصام بالمطلوب شرعًا، لا يغير الحكم الشرعي ولا يلغيه.

فافهمي ذلك واستوعبيه.

(104)

ماضاع من التجأ إلى مولاه، وماخاب من وقف ببابه ضعيفًا منكسرًا يسأله اللطف والتوبة والستر والهداية والفرج.

جلسة شفيفة مع نفسك ترتبين فيها طريق العودة.. توبة صادقة، وعزم على التغيير،وفتح صفحة جديدة مع الحياة.. انشغال بمعالي الأمور، وانهماك فيما ينفع في الدنيا والآخرة، وابتعاد عن مواطن ورفاق السوء ومَن مِن شأنهم أن يضعفوك.

تذكري يا ابنتي أن كل من على الأرض هالك ضائع تائه غارق في العصيان.. لولا ستر الله وحفظه ولطفه؛ فاستمسكي به سبحانه، وتملقي له أن يقبلك على ضعفك.. وكلما سقطت انتفضي وارجعي واستغفري، واعلمي أن الله ما خلقنا ملائكة معصومين، وإنما آدميين خطائين وخيارهم التوابون الأوابون الذين كلما زلوا استغفروا وجددوا الميثاق.

هداني الله وإياك يا ابنتي، وسترنا بستره وحفظنا بحفظه، وجعلنا ممن أحب من عباده التوابين.

(105)

فكرة سلبية واحدة كفيلة بأن تزج بك في سجن نفسك، أو أن تقسمك شطرين : شطر يسجنك وتظنين أنك له السجان، وشطر يتفنن في نسفك.. فاطردي عنك العجز واليأس والسلبية، واطرحي عنك النظارات القاتمة التي تلون الحياة بالسواد.

(106)

ياابنتي،

في أحداق الفجر تنبت الأمنيات.. تلك التي سقتها مدامع النجم.. فاسقي أمنياتك دعوات خالصات.. اسقي بها الأرض تحت جبينك لحظة تذلل ليليٍّ وانكسار لمجيب الدعوات.

(107)

خذي عني يا ابنتي،

أغلب ما نبتلى فيه؛ تلك الأشياء التي نحمل رسالتها، وتلك التي نتشدق بقدرتنا على تجاوزها أو مواجهتها حال الرخاء.

(108)

أكبر الحمق والعتاهة؛ أن نحاول أن نجنب أنفسنا القادم الذي نخشاه.. بخشيته قبل أن يقدم.

(109)

أكبر جرم يرتكبه من حولك في حقك؛ أن يحاكموك بسبب أقدارك، فاحرصي يا ابنتي على ألا تحاسبي أحدًا على شيء قد كتبه الله عليه.. لايد له في حصوله،ولا دفع له إلا أن يشاء الله ويقدر.

(110)

نحن لا نختار أقدارنا.. تلك التي لايد لنا فيها ولايمكن بحال أن تكون، لكن لا عذر لنا فيما يمكن تغييره وتحسينه وفيما يمكننا الاستماتة والكفاح لأجل تحقيقه.

نسأل الكريم سبحانه جوده وكرمه وعونه وسداده.

(111)

معتوهون،

أولئك الذين يضيقون عليهم رحابة الحياة حولهم، ويحاصرون أنفسهم في شرنقة قرار.

يكفيهم أن يقصوا شرائط الأسلاك الشائكة الملتفة حولهم، وأن يلملموا شظايا أرواحهم المنتشرة في قلاع العبث، وأن يقتحموا عوالم الصفاء والنقاء.

(112)

لو سكن الضيق تجاويف الكهوف، وتسرب الهم بين شقوق الجحور وعشش بين نتوءاتها؛ لتبعه الذكر ينسف سكناه ويبدد أسواره وينقض في أعماقك شعثه المتشعب.

ذكر وشكر وابتهال.. خير ما نبارز به الضيق والأحزان.

(113)

يا ابنتي،

قرري من أنت؛ كي تسهلي على من حولك أن يعاملوك.

(114)

وما الحياة إن لم نكن لنعيشها بعمق في كل تفاصيلها؟

وما عيشنا إن لم تكن لكل لحظة آنية عندنا اتساع مساحة لحسن استقبال ما تلقيه الحياة في طريقنا؟

(115)

لا تدققي كثيرا، فإن كثرة التدقيق ستفسد عليك الحياة.. هناك أشياء كثيرة في الحياة نقضيها بتركها، ونتجاوزها بتمريرها وعدم التدقيق فيها..

أمِرِّي ما استطعت، وتغافلي وتجاوزي وأغمضي عينيك على ما لا تستطيعن فتحهما عليه.. لعل المركب يسير دون أن تغرقه العاصفة.

(116)

نهرم حتمًا ساعة عبوس، ثم إذا ما ابتسمنا عدنا أطفالًا.

لا تجعلي الابتسامة تفارقك يا ابنتي، حتى في تلك المواقف التي لا يفترض أنها خصيمة الابتسام؛ تدومي طفلة وإن صار لك من العمر مئة سنة.

(117)

بعض الأشياء الجميلة قد لا نجد غضاضة في أن نفقدها.. فقط لأنه حمل ثقيل علينا أن نحافظ عليها.

فاحرصي يا ابنتي على عدم الاستسلام، وعلى الدفاع عن وجودك وعن حقك في أن تكوني سعيدة. واعلمي أن الحسرة والندامة على التفريط ساعة ضعف ويأس واستسلام؛ أشد وجعًا من القبول بالمتاح.

(118)

أحيانًا كثيرة؛ نحن نخطئ بالترقيع. كل ما نحتاجه مرات؛ أن نمزق لا أن نرقع، وأن نعتنق حياة جديدة.

تعلمي يا ابنتي متى عليك أن تخيطي ما انفتق، ومتى عليك أن ترقعي ما تمزق، ومتى عليك أن تنقضي كل النسج ثم تحيكي من جديد.

(119)

وما اليقين يا ابنتي سوى أن تنظري للُّطف وللفرج بعين الواثق من مولاه وقد أعجزه السبب.

(120)

أتعلمين ما الفرح يا ابنتي ؟

ذاك الذي عليك أن تنسجيه من عطر القوافي، ومن لون الأقاحي، ومن صرخة القمر الذابل المتشبث بخيوط المساء، ومن عودة الربيع إذا ما الربيع هطل، ومن عبق النسيم المستوطن بين الضلوع، ومن الآهات واللوعات، ومن زفرات باتت تسكن منك الوجدان.

(121)

وما الحكمة يا ابنتي ؟

ضربة شجت الرأس وكسرت الحنايا ومزقت الفؤاد، ونفضتك منك كي تعيد ترتيب أشلائك الممزعة.

(122)

سألتني : وكيف أبتسم وسط هذا الخراب؟

فقلت: بتكلف الابتسامة، وبالبحث عن بقايا الورد المنتشر بين حصائد الأشواك.

(123)

ستجتاحك الخيبات، وسيستبد بك الخذلان؛ لتنحسر فيك الحياة ويتوقف فيك النبض، أو لكي ترفعي سقف تطلعاتك فلا تقبلي إلا بالمعالي وبما يقدر فيك ذاك النضج الذي أكرمتك به متاهات الحياة.

(124)

يكفيك أن تكوني واثقة مما تفعلينه، دارسة لخطواتك، مفوضة أمرك للوكيل سبحانه، راضية بأقضيته وأقداره؛ كي تكوني أكثر جسارة وأكثر إقدامًا في اتخاذ قراراتك، ولا تنتظري بعدها أن يبجِّلوك وأن يصفقوا لجدارتك واقتدارك على رفع التحدي والاطمئنان لما اخترته منهجًا لحياتك. تهيئي

لخانات تصنيفاتهم ولدساتير محاكماتهم ولوصمك بكل ما يوصم به من قرر أن يغرد لكن خارج سربهم، حينها وحينها فقط سيظهر لك إن كنت فعلًا واثقة مما تفعلين، أم أن زمجرة من رعودهم ستثنيك وستكشف قوتك المزعومة وتحديك المفتعل.

(125)

أكثر ما يجعلنا صيدًا ثمينًا للأحزان يا ابنتي؛ أن نعاندها فترفع تحديها علينا، أو أن نستسلم لها، فتتوقف فينا الحياة.

نحن حينما نحزن، نكون أمام أمرين:

إما أننا نعطي الحزن حقه في أن يستبد بنا، أو أننا نعطي لأنفسنا حقها الكامل في أن تتألم بصدق؛ كي نستبد نحن بالأحزان.

(126)

سألتني يومها: وما العمل لمواجهة الأحزان؟

فقلت: أن نعطي أنفسنا حقها في أن تحزن لكن دون أن نستمرئه، أو أن نجعله نهج حياة، ثم نمضي في طرقات إنجازاتنا وانهماكاتنا.

نحن حينما نتغافل عنه بداية؛ فإننا لا نفعل أكثر من تخديره لوهلة، ثم ما يلبث أن يندثر التخدير فتستيقظ الآلام أكثر شراسة.. نحزن لأن هذه هي الطبيعة البشرية، لا نسترسل حتى لا نمكن الشيطان من تحقيق عهده، وحتى

لا نصير سجناء الحزن فيقعدنا عن مسئولياتنا وعن رسالاتنا وعما خلقنا لأجله. نجعل من الحزن طاقة لأجل الإنجاز ولأجل مزيد قرب من الإله، كلما هاجمنا الحزن بعدها ننفثه دعاءً أو حرفًا أو دمعًا نضمد به الجروح، ثم نستأنف مرة أخرى المسير. نشوش على الإحساس بالعقل بحيث نعيد ترتيب أسباب ذلك الحزن.

(127)

أتعلمين ما الهزيمة يا ابنتي؟

أن نطيل الوقوف بين يدي الأطلال، وندمن المثول مصلوبين على أعتاب المستحيل، ثم نمضي ما تبقى من عمرنا هاربين من كل شيء.. بدءًا بذواتنا.

(128)

احترامك لنفسك وتقديرك لها؛ أن تضعيها حيث يجب أن تضعيها، فلا تمدي عينيك لما تعلمين قبلًا أنه ليس لك ولن يكون. وألا تتركيها مداسًا للعابرين.

(129)

لا تعرضي بضاعتك على زاهد فيبخسها، ولا على متلهف فيثمنها بأكثر مما تستحق، حتى إذا ما انقضت لهفته، أصابها منه الكساد.

(130)

تريدين أن تشغلي نفسك عنك وعما أنت فيه، وأن تستنقذيها من براثن الهم والكرب والوجع العتيق ؟

انشغلي؛ كي تنشغلي.

انهمكي في كل شيء جميل رقيق، عساك تستخرجي الجمال الذي فيك، فالألم يشكلنا في أبشع الصور ويسرق منا عبق الأنفاس وأكاليل الندى التي تطوق الأرواح.

وإن بركة القرآن لترينها تحلق بالقرب منك، ترتب شعث ما تشابك فيك، وتسقي بتلات روحك الغافية تشذب منها الجذور، وتعيد لصدرك ترنيمة الحياة.

(131)

ولأنك يا ابنتي مهووسة بالمعالي، وسقف توقعاتك سامق؛ فتحلي بالانتظار وتحرزي أن يلفظك الصبر ذات تعب فتقبلي بالمتاح؛ فيخر عليك السقف.

(132)

دعيهن يا ابنتي يمارسن هوايتهن المفضلة؛ فن التأويلات والوشوشات وتراشق الغمزات. ربما لا يزعجهن كلامك ولا وجودك، ثقتك بنفسك وحدها قادرة على أن تجعلهن ينظرن إلى أنفسهن في ارتياب، وأن يتحاشين لقاء عيونهن في قطع المرايا.

(133)

أكثر القرارات خطأ يا ابنتي، تلك التي نتخذها في حالة انفعال. تنتهي شحنة رد الفعل، ونبقى رهائن تسرعنا.

(134)

يا ابنتي، أتدرين ما التعاسة؟

أن تأتيك الأنوار متراقصة تداعب عينيك؛ فتتواري منها بغمضة جفن، تخشين أن تصيبك منها نفحة.

(135)

نظرة الناس إليك وكلامهم عنك قد لا تعدو أن تكون نظرة وكلامًا، فانظري إلى حديثك لنفسك عن نفسك؛ فذلك ما يرسم صورتك أو يمزقها.

(136)

يا ابنتي،

نحن من نغلق على أنفسنا سجون أفكارنا ونمنع عنا رحابة الفضاء، حتى إذا ما فرطنا يومًا سلاسلنا، اكتشفنا أن الكون أوسع مما كانت تلتقطه لنا عيوننا من خلال عيدان القفص.

(137)

نسائم الفرج وتباشير الفرح.. إن لم تطلَّ عليك طواعية، فتعرضي لها.

أجمل خيوط الفجر، تلك التي مزقت لأجلها سدول الليل ووثبت تلاحقينها، لا تلك التي انتظرتها أن تخترق النوافذ كي تداعب منك الجفون.

(138)

ستتحررين وستتقدمين، حينما تعلمين ما لك وما عليك. حينما تتحررين من ربقة المجتمع السالب النائم في هوة سحيقة من هوات الجاهلية. حينما ستفهمين نصوص الوحي على مراد الله ورسوله ﷺ وتبذلين الوسع لتفعيلها.

حينما تتجردين من التبعية والنمطية والخوف من الناس على حساب أحكام الدين.

(139)

من قبضة الذنب، وسجن الخطيئة، وبراثن العصيان؛ أرسلي يا ابنتي زفرات ندم وحركي القلب بالندم والذكر والاستغفار؛ فإن النور يغالب العتمة، ينتصر عليها.

وإن مضغة تئن شوقًا للنقاء ولبراءتها المتجاوزة طيشًا وضعفًا، وللذة الخضوع ونعمة الرجوع؛ لحَريٌّ بها أن تنبت من جديد كما ينبت البقل من لمسة ماء بضفاف الأنهار.

(140)

نسميها ضيقًا، ونسميها مللًا، ونسميها فراغًا روحيًّا، ونسميها غربة ذواتنا عنا.

وما هي إلا وحشة لا يزيلها سوى قربه والأنس به وصدق محبته سبحانه.

(141)

نصر أحيانًا كثيرة يا ابنتي على التشبث بما نراه بعيون هوانا صالحًا لنا، وقد نستميت في الدفاع عنه ونحن لا نعلم أن كل الخير في غيره. حتى إذا ما أعاننا ربنا على الرؤية بوضوح، واختار لنا غير ما كنا نريد؛ حينها- وحينها فقط- نعلم دور الاستخارة المتكررة يقينًا في أن الخير بيد القدير العليم.

اللهم اختر لنا؛ فإننا لا نحسن الاختيار.

(142)

ستهزمينهم.. حينما ستعتادين على خوض معاركك بابتسامة هادئة.

(143)

والمعصية على استقباحك لها يا ابنتي، وعلى اقتناعك حال العافية باستحالة ورودها عليك وورودك عليها؛ قد تتلبسين بها وتسقطين في حبائلها في وقت كنت تعتبرين ذلك من المستحيلات، بل إنك لترين في نفسك قدرة

هائلةً على التصدي لها إذا ما داهمت حماك، و استعلاءً عليها وجزمًا باستحالة أن يقع منك ذلك ما دمت تعلمين أنها معصية وما دمت تراقبين الله.

و قد تتكون لديك هذه الصلابة من تجارب سابقة لك أو لغيرك، ومن تقززك منها ومن ثقتك التامة في كرهك لها، وقبل هذا وذاك من حفظ الله، فإذا بها تتزين لك وتتبرج لك وتأتيك في هيئة لم تعهديها عليها، تغلق دون عقلك التفكير ودون عينيك الإبصار، فلا تسمعين إلا نداءها، ولا ترين إلا صورتها، فتبرر لك ضعفك أمامها، وتغريك باقترافها. وفي لحظة انهزام تام وانهيار أمام حيلها وضعفك؛ تجدين نفسك في براثنها، فلا تستفيقين إلا والحرقة تفتك بك، و الألم النفسي لما رأيت منك من ضعف وخوار مصاحبك، والخوف من عدم قبول توبتك أو الموت قبل تحقيق ذلك يكبلك.

فياليت شعري، حفظ منها ابتداء وعافية وراحة بال- والعافية أوسع لنا- أم دموع انكسار وحرقة وتوبة نصوح وحياء من الله وعزم على الحيطة وعدم العود، أيهما يقرب العبد إلى ربه.

(144)

يتهاوى الجسد إذا ما تهاوت الروح.

ونتساءل مابال أطرافنا ثقيلة، وما لهذه الأرجل لا تكاد تحملنا، ومابال الأوجاع تهجم علينا لا نعلم لها سببًا، وما هذا الوحش الجاثم على القلب وعلى الأنفاس.

إنها الروح الفارغة من نسائم الأذكار ومن عبق الاستغفار ومن معاني التوكل على الوكيل المجير سبحانه.

(145)

الورقة التي تخشى الألوان.. لا يمكن أن تصبح لوحة رسم.

(146)

إذا ما حذروك أنفسهم يا ابنتي، فعَلَى مَن اللوم إن أحسنت بعدها بهم الظن؟

(147)

حمد الله على نعمة يراها الناس نعمة واتفقوا على أنها كذلك.. فضل وخير.

لكن تفردك بمعاني الشكر والحمد لما يراه غيرك نقمة وابتلاء، وترينه لطفًا ونعمة وهبة قد أنعم عليك بها اللطيف الخبير، وألهمك معرفة بعض من تصريفات الحكمة فيها؛ نكهة لا تعدلها نكهة، ولذة تجدين بردها في فؤادك، وعبقها في كل ترتيبات حياتك، وحسنها كلما تدبرت في تصاريف قدرك وما قضاه الله لك.

(148)

داوي أحزانك وإحباطاتك يا ابنتي بجرعات لامبالاة.. كثرة النبش تهيج الثعابين.

(149)

أحيانًا كثيرة يا ابنتي؛ نحن لا نحتاج إلى أن نحصد السنابل.. نحتاج إلى زرعها.

(150)

قد نلجأ إلى محاولات في التغيير تنكيلًا بالسأم والرتابة التي تطال حياتنا. قد نعمد إلى تغيير شكل ملابسنا أو الألوان التي اعتدنا عليها، نتوسم خيرًا في تغيير أثاث البيت، أو تحويل وجهة المكتب، أو في نظام أكلنا، أو حتى في صور «البروفيل» على صفحاتنا بمواقع التواصل. بل قد نتعمد أيضًا تغيير الوجوه التي تحيط بنا والاستعاضة عنها بغيرها، وقد يعلو سقف متطلباتنا وتتطلع العين إلى ما هو أكثر، فنسارع إلى البحث عن خلاص من بيئتنا كلها فنفتش عن مرافئ خارج حدود الوطن؛ عل تغيير الأماكن يغير ما أسن بالروح.

نبحث جاهدين عن تلك الحركة التي منها سيكون القضاء على موجة الكآبة والسأم التي تغرقنا، وننسى أن ما يجب علينا أن نغيره بحق؛ تلك الأشياء التي تقيد أرواحنا وتسجن نفوسنا، وتلك الجبال التي توحلنا في طينها فتتشكل المعصية والذنب مرضًا يسكن تفاصيل أجسادنا، وتقصيرًا يلون حياتنا بالكآبة والأوجاع والضجر.

(151)

أتعلمين ما أشد العزلة يا ابنتي ؟ تلك التي تحبسك في سجن أعماقك.

(152)

الحزن المفاجئ وانقباض الصدر والضنك أحيانًا كثيرة هو كما ارتفاع عدد الكريات البيضاء في الدم؛ لتخبرنا أن شيئًا ما في الجسم ليس على مايرام، وأن قدرتها الدفاعية والمناعاتية قد قلت.

يخبرنا بكل ما أوتي من تنغيص أن القلب قد ركن، وأن الهوى قد استعصم، وأن الرِّجل قد زلت، وأننا قد خنا العهد ونقضنا الميثاق. ترشدنا إلى الرواء وإلى جرعة استشفائية مستعجلة بناصية ساجدة ودمعة متوسلة واعتصام بكرم الكريم وولايته وهدايته وحفظه وستره، وسؤاله سبحانه الثبات والصون، وأن يصرف عنا كيد الشيطان وشر نفوسنا وشر كل ذي شر.

(153)

تعلمي يا ابنتي أن تفاضلي بين ما ستفقدينه و بين القيمة المضافة التي ستحصلين عليها إن أنت فقدته.

وأن تعملي بين كل ذاك على ألا تفقدي نفسك.

(154)

ذلك الإحساس بأنه قد ضاع من العمر ما قد ضاع، وبأن ما بقي مهما بقي لن يطول، و بأن العد العكسي قد بدأ، وبأن الفسيلة التي باليد لا بد من غرسها قبل أن تدق ساعة النهاية وقبل أن يسدل الستار، كم يضخ في عروقنا من دماء جديدة، وكم يحدو بنا كي نحث الخطى، فلا نلتفت إلى ما مضى إلا للحسرة على ما ضاع في جنب الله، وللتذكر بأن ما بقي لا بد أن يكون لله تحت عين الله.

اللهم فاجعلها ساعة رضا، ويسر للرضا قلوبنا، وطوع له نفوسنا، ولا تؤاخذنا بما كان منا وبما يكون.

وثبتنا على طريقك الأوحد الممتد المستقيم حتى نلقاك.

(155)

هو قلب واحد وعقل واحد وروح واحدة، فإما أن نشغلها بما يحييها، وإما أن نشغلها وتشغلنا بما فيه كل شيء إلا ما منه حياتها وهناءها وسكينتها.

سنحزن لا محالة، فلا نسترسل مع الأحزان، ولنشوش على القلب المكلوم بالاستبشار.

وسنضعف، تلك جبلتنا البشرية؛ فلنجعل من ضعفنا مزيد قرب من القوي الغني الولي الوكيل سبحانه.

وستلزمنا بوصلات الحياة بتغيير دروبنا، وسلوك طرق ما وددنا يومًا أن نسلكها ولا فكرنا أن نكون لتلك المآلات؛ كي لا ننسى مهمتنا التي لأجلها خلقنا: العبودية.. وحدها تنسينا هموم الحياة، وتذكرنا بأن الذي شرفنا بعبادته سبحانه حرم على نفسه الظلم الذي نكتوي به من العباد، والخذلان الذي يصلوننا به.. والقهر والاستبداد والتسلط الذي يغرقنا في لججه. ولنعلم أن الراحة هناك.

الانهماك في الحياة يا ابنتي انهماك فيما يشغل قلبك، ويندي روحك، ويصنع من أحزانك طاقة تجعلك تفجرين كل مكنونات الصدر، وتنفثين كل الوجع وكل الظلم الذي تحسين به؛ في دعاء صادق مُلِحّ، لا تتخيرين فيه الألفاظ ولا تنتقين فيه المعاني، إنما يخرج بتلقائية وعفوية تمليها حاجتك واضطرارك، و كل معانيه احتماء من ضعفك بكلأ ربك، وانتقال من حولك لحوله وقوته، وتفويض لكل أمرك للولي الناصر القدير.

لنستبشر يا ابنتي؛ كي تكون لنا البشارة.

وليكن انهماكنا فيما منه حياة أرواحنا وسكينة قلوبنا وقرب من الودود الجميل اللطيف.فلأجل ذلك قد خلقنا.

(156)

خطؤنا في الكثير من الأحيان أننا نقصد الماء الراكد نود أن نصطاد منه سمكًا، أو إلى بؤرة صخر نريد أن يصبح الصخر جوهرًا. نخطئ في التحديد ابتداء، وإذا ما اكتشفنا خطأنا؛ غابت عنا بوصلة تصحيح المسار.

(157)

أتعلمين يا ابنتي ما الذي يجعل الحياة تنتهي فينا؟

ليس الاستكفاء ولا خوف الاقتحام ولا حتى التعطيل أوالتسويف أوالتريث في اعتناق الحياة، إنما تنتهي الحياة فينا حينما نقرر رغم كل شيء أن كل شيء فينا قد انتهى، وأن ما ارتحل فينا لا فرصة له أن يعود، وبأن الأحلام قد تطردك، قد تخليك منك، وقد تعودين منها- إذا ما عدت- بكيان مشوه ووجود مبتور.

وبأن مد العين لزهرة ما ترتاح له النفس وتسكن به الروح، جرأة وجسارة ولعب مرتجل خلال» الوقت بدل الضائع«..

(158)

تلك المرافئ التي تحتفي بتمزيق الأشرعة وبابتلاع حطام المراكب؛ لا تستحق أن تكبدي نفسك خسارة إبحارة إلى أعتابها.

(159)

أكبر جريمة نرتكبها في حق أرواحنا : في انتظار أن نحيا،

ننسى أن هناك حياة بالقرب منا نستطيع أن نسترق منها جرعات حياة.

(160)

وكلما افتخرت نفسك بالطاعة، وتبجحت بالعمل وسارت بك في طريق المفاخرة والتعالي والاستكبار؛ ذكِّريها بغرقك في العصيان، واردعي صولتها باستعراض هوانك وضعفك وسقوطك في براثن الذنب؛ تلجميها وتجعليها لا ترى لها شأنًا لولا منة وتوفيق الله.

(161)

كثيرًا ما يتولد التقصير والجرأة على محارم الله من تلك الفجوة بين حضور القلب مشهد النعمة والإحسان، وبين شكرها بالطاعة.

(162)

أغلب من توغلوا في متاهات المعصية سقطة لم يعلموا بعدها كيف النهوض. وتسويف وتسويغ ووعد كذوب بالأوبة.

أن تنحدري فتتنبهي فتئوبي؛ فذاك طبع الإنسان فيك. لكن أن تستمرئي الانحدار وتستلذي بما أنت فيه، وتجعلي للمعصية ألف مبرر كي تبقي متلبسة بها، أو أن تعمي عينيك كي لا تواجهيهما بأنها معصية وبأنها مخالفة لأمر الله وجرأة على محارمه؛ فذاك الذي يميت مسمى الإنسان فيك.

(163)

يا ابنتي،

أمنياتنا الترابية.. لا نأمن أن تذروها الرياح.

فلنجعلها كوثرية فردوسية نورانية؛ فالرياح لا تغالب النور.

(164)

ليس بالضرورة إزهاق روح بعض الأحلام ولا التخلي عما تشتهيه الأنفس في حدود الحلال، فتلك جبلة الإنسان وما خلقه الله عليه. تأملت كثيرًا في بعض مبهجات الحياة؛ فإذا بها- قبل أن تكون ترفًا- تيسر للعبد شؤون حياته، وتقربه من ربه وتسهل له سبل عبادته سبحانه. قد لا نكون في حاجة إلى التلبس بالزهد ولا إلى اعتزال الناس في صوامع، ولا إلى الاعتصام بجبال نتصوف في كهوفها وننتظر نهاية الرحلة. قد يكون فعلًا ما ينقصنا أو ما يُصلحنا بيت واسع وسيارة فارهة وأثاث راق ووو.. لكننا على كل حال ما علينا طلبها إلا بالسعي الحلال.

والدعاء يقرب البعيد ويتيح ما نراه نحن بنظرنا القاصر مستحيلًا، ويجعل حصائد الشوك مروجًا. ما نحتاجه ليس التزهد ولا اعتناق الدروشة، إنما نحتاج إلى اليقين وإلى حسن التوكل على الله، بل إلى فهم معاني وحقيقة التوكل قبل أن نزعم أننا متوكلون.

(165)

ما الذي نحتاجه فعلًا كي نكون سعداء؟

وحي يروي قلوبنا الظمآى للرواء.

وتقوى يجعل الله لنا بها مخرجًا من كل مدلهمات الدنيا الخديج.

وقناعة نحول بها شظف العيش إلى بذخ الأمراء.

وأرواح تسكننا ونسكنها، تشاركنا اهتماماتنا ونشاركها رسالتها في الحياة.

ورقي وجمال روح وعمق نستمتع به بكل تفاصيل الحياة.

(166)

الذنب الذي لوَّن أيامك القديمة، لا تجعليه يلحق يومك الجديد.

فجر جديد.. توبة جديدة.. وقفات مع النفس لاستكمال فضائلها.

أنت إنسان بضعفك، إنسان بصولتك وثورتك على ما يريد تكبيلك، نسمات الصباح تغري بتجديد التوبة والعزم على أن نري الله منا ما يحب.

(167)

كل ما نريده من حياتنا الموحشة المقصرة يا ابنتي، جرعة سكينة لا يبددها خوف ولا غفلة، ولا تعتريها فوضى ولا شرود، ولا.. ينغصها ضجيج ولا انتكاسة، وبصيص أمل..

والكثير الكثير من الأمان.. ومن الأحلام.

(168)

جميل أن تجدي في المحن من يواسيك وينصت إليك ويحمل عنك ويرتشف دموعك..

والأجمل.. أولئك الذين يشاركونك مشاهد التفكر في اللطف والود، ويقتسمون معك واردات الحكمة، ويبتسمون لومض بسمة منك قد نزت من شقوق شفتيك المتكلستين المصلوبتين على مقصلة انتظار الفرج، وقد علموا فذكروك أن الفرج لا يتخلف عمن فوض الأمر لفارج الكربات.

فلتكوني يا ابنتي مزنة، تلك التي إن لم تصب على الناس وابل الرحمات وهم في جدب المحنة والمعصية والتيه والشرود؛ فطلّ.

(169)

إذا تيسرت لك يا ابنتي ساعة طاعة؛ فاعلمي أنما هو توفيق ذي المنة. فكم من ساعات تمر عليك دون أن تشتغلي بشيء. وكم مرة احتجت فيها دقيقة فقط فلم تسعفك.

(170)

إذا خالج اليقين القلب المترع بالأوجاع، وسكن الفؤاد الواثق في كرم مولاه؛ جعل الله له بصيرة لا يرى بها إلا هو، وعيونًا تنقشع عنها أستار الحقيقة، وكشف له عن بعض أسرار لطفه سبحانه؛ فتقلب بين

النوائب والأدواء مستشعرًا رفق ربه و لطفه ورحمته سبحانه، وانقدح في ذهنه من العبر ما لا يفهمها سوى من جاد الله عليه بنفس القلب وبنفس البصيرة.

وكفى بها نعمة لمن عرف حق النعمة.

(171)

ذاكرة الألم يا ابنتي لا تشفى.. ربما تُتجاوز، لكن سرعان ما تطفو على السطح كل تلك الأشياء التي خلنا يومًا أننا دفنَّاها إلى غير رجعة، فإذا بها تنبعث من مرقدها من غير سابق موعد. الإحساس بها في البداية اضطرار، فنحن لا نملك مشاعرنا ولا نعلم متى تستيقظ الآلام، لكن الاسترسال معها أو تجاوزها قرار؛ كي نسهل أو نعطل على الشيطان مهمة إحزان الذين آمنوا.

(172)

بعض ما تلقيه الحياة في طريقك يا ابنتي، تعاملي معه بمنطق التجار، منطق الربح والخسارة.. واتركي على الدوام خطة بديلة و"أوبشن" احتياطية كي لا يضيع كل رأس مالك في صفقة لا نفطن عادة إلى أنها خاسرة إلا بعد أن نبرمها..

(173)

فإن عافت نفسك الدنيا وتلظت بجحيم الحياة، فاعرجي بها إلى أبواب القائل سبحانه: (من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)، واسْري بها بقطع من الليل تعانق النقاء، و لاتلتفتي إلا وأنت على الحوض تغرفين غرفة لا تظمئين بعدها أبدًا.

(174)

أكبر جريمة نرتكبها في حق أرواحنا يا ابنتي؛ أن نقبل بالمتاح. فقط لعدم تصورنا لوجود بديل.

(175)

هل تتصورين يا ابنتي ما الذي يمكن أن تفعله قطعة حلوى أو شوكولاتة؟

تستطيع- هديةً- أن تجبر خاطرًا مكسورًا، وأن تجعلك- ساعة تدليل للنفس- تنتشين للحظات بنكهتها الفريدة، وأن تعلي من نسبة الدوبامين في الدماغ فتجعلك تشعرين بسعادة أكثر، لكنها قد تكون سببًا مباشرًا في تعطيل عقيدة الولاء والبراء عندك؛ حينما تقتنينها مشاركة لهم في عيد ميلاد «الرب»..

تعالى سبحانه عن ذلك علوًّا كبيرًا.

(176)

أجمل شيء في الانتظار أنه تجارة لو علمنا كيف نديرها، ليصير ذلك

الذي نهدر بسببه الساعات والأيام؛ أفضل العبادات القلبية..حينما يتكوم القلب الصغير ويسجد بين يدي مولاه طالبًا الفرج العاجل القريب. يطلب الغوث والمدد من الولي المغيث، ويسأل فارج الكربات أن يفرج همه.

يبذر بذار دعواته وينتظر الزرع من مخرج الشطء.. والصبر يؤازر الدعاء ليستغلظ اليقين ويستوي على ساقه؛ فيبتهج القلب المترع بالأحزان بمعية الله، وولاية الله، ولطف الله.

(177)

نذنب فنستوحش، ولربما ذاك الذنب لم يترك لنا نقطة حياء في وجوهنا، وكبل جباهنا أن تطلع إلى خالقها وقلوبنا أن تسجد بين يديه سبحانه، ولربما جرنا إلى اليأس والقنوط.. ولولا بارقة الأمل تلك، بأن الله ربنا غفور رحيم؛ لشردنا ولغرقنا في أوحال ذنوبنا، ولأنجبت المعصية معصية أكثر منها.

(178)

قد أصلح بينك وبين الناس منة و تفضلًا. وشكر المنة؛ أوبة وتصبُّر على الطريق. فاهرعي يا ابنتي إلى إصلاح ما بينك وبينه سبحانه، ولا تتكلي على دوام عفوه و ستره.

فإن الستير يفضح، والغفور يأخذ بالذنب..

وإذا ما غفر وصفح، أمهل ولم يهمل، ومد في أجل التوبة أنرجع أم نبقى في غيِّنا.

ومن يؤت البصيرة فقد أوتي خيرًا كثيرًا.

والحكمة نعمة وكفى بها نعمة.

(179)

« أراني متقلبة بين حزن وشجن، وبين أمل وتفاؤل!»

يا ابنتي،

هل يمنع الحزن الدفين من أن نستبشر كي تكون لنا البشرى؟ وهل يمنعنا الاستبشار من أن نتألم؟

ابيضت عيناه- عليه وعلى رسولنا الصلاة والسلام- لفراق الحبيب، وقال يا أسفى وتولى وهو كظيم كميد كئيب مغموم مكروب، وقال (وأعلم من الله ما لاتعلمون). فهل أثناه الحزن عن الأمل فيما عند ربه الكريم الجواد!؟ و قال قبلها: (عسى الله أن يأتيني بهم جميعًا)، فهل أثناه أمله ورجاؤه في لقاء أبنائه وفي فرج ربه عن أن يحزن و يتألم!؟

الآلام لا تبرح من كان له حس، والأحزان والخيبات سُنة المجبولة على الكبد والنصب، ونحن متقلبون بين بسمة وزفرات وبين نشوة و دمعات. وإذا ما صفت لنا ساعة، فعلينا أن ندرك أنها إلى غيوم وكدر، وأن الأصل في الحياة

الهمّ والغم والمصائب حتى لا نركن إلى الدنيا ولا نستعذب صفاءها المؤقت، وحتى تتوق أنفسنا إلى دار السعادة الدائمة، ونكون دائمي الأهبة والاستعداد لما تلقيه الأقدار في طريقنا، متوقعي الاصطدام بالخيبات حتى لا نتلقاها تلقي المعتوه الذي يفزع لسماع قطرة ماء منحدرة فوق زجاج نافذة.

(180)

بعض الأمور التي نستعظمها ليست بشيء عظيم في جانب حكمة الله وإرادته وقوته وعزته وغناه سبحانه.

بعض الأذى الذي يصيبنا، وبعض الضر الذي يمسنا لا يصرف إنفاذ مراد الله و لا يعطل رسالته سبحانه التي ارتضاها لعبيده. النبي ﷺ عاش الفقر والحروب وأوذي ومسه الضر وأهله، واتهمت زوجته الطاهرة زورًا وبهتانًا، وكسرت رباعيته الشريفة، ولكن لم يعطل ذلك رسالته التي اختارها الله لعباده. (هو علي هين)

وبعضنا قد يصاب في بدنه أو في ماله أو في ولده، ولكن يحفظ الله عليه دينه، فما بلاؤه أمام حفظ الدين؟ (هو علي هين)

وما الذنب أمام رحمة الله لمن تاب وأصلح و أناب؟ (هو علي هين)

وما الفقر أمام غنى الله لمن توكل عليه حسن التوكل وأخذ بالأسباب وافتقر لمولاه وأطال قلبه السجود بين يديه سبحانه؟ (هو علي هين)

وما الذل أمام عزة الله لمن تملق وتذلل وأناخ مطاياه بباب الله؟ (هو علي هين)

فاللهم حقِّر في قلوبنا الدنيا، وهوِّن في أعيننا مصائبها، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا.

اللهم إنا نسألك يقينًا صادقًا وإيمانًا كاملًا وقلبًا متعلقًا بك وبجودك ورحمتك.

(181)

روح شفيفة، وحس متجذر في العمق، وعيون محبة للجمال.

تلك كل القضية يا ابنتي حتى تستشعري الجمال في كل ما يحيط بك، وتجعلي من كل القصاصات موضوعات للتأمل والتفكر.

(182)

قلت لك : حرري نفسك من ربق العبودية، لا تجعلي سعادتك مرتبطة بشخص أو بشيء.

أنهيت كلامي، ثم رجعت لنفسي أتهمها على تلك المغالطة التي يفتيها علينا أحيانًا الإغراق في طلب الحكمة.

و ما السعادة إن لم تكن ارتباطًا بشخص أو بمكان أو بزمان أو بشيء؟

وما الإشراقة إن لم تكن لرؤية خيوط الفجر أو لملمس جورية

واستنشاق عبيرها؟ أو لإبحارة في عيني طفل مواربتين تتلمسان الدفء في عينيك والأمان في أحضانك؟

وما التحليق طربًا إن لم يكن في سفر عبر دفتي كتاب أوله كتاب الله؟

وهل لرواية الحياة من مسمى وهي منفصلة عن الزمان والمكان والشخصيات؟

ما السعادة إذًا، وقد جردناها من تفاصيل السعادة؟

(183)

ليس تشاؤمًا ولا يأسًا ولا قلة رجاء وأمل أن تقيّمي مشاريعك و أحلامك فتضعي رجليك على الأرض، وتري ما يمكن تحقيقه عاجلًا ولا يمكنه الانتظار، وما يمكن تأجيله- لا بتره من قائمة الأحلام- وما يجب العمل عليه في صمت ونثر بذوره وانتظار خروج الشطء

بعض المشاريع وقتها الآن.. الآن فقط وليس غدًا، وبعضها سذاجة ورعونة وسفه أن نحاول تحقيقها ولمّا يحِنْ وقتها.

(184)

بعض من تلقيهم الحياة في طريقنا يا ابنتي؛ نجاريهم كي لا نعين الشيطان عليهم. بعض الكلمات بلاسم وماء بارد يطفئ لهيب الحنق والغيرة.

قليل "طبطبة" و مواراة لا يضر.

(185)

سألتني فتاة – وكل الفتيات بناتي – على موقع استشاري :

كيف لي أن أشبع الجفاف العاطفي الذي بداخلي و أصنع عالما نقيا خاصا بي وأعف نفسي عن الحرام (أهلي لا يشبعوننا ولا يهتمون، و الحلال غير متوفر الآن ؟

فرددت عليها :

هل تظنين يا ابنتي أنك أسوأ حالا من غيرك من البنات، وأنك وحدك من تعانين من الجفاء والجفاف العاطفي في أسرتك؟ وهل تظنين أن أغلبية الأسر العربية متفطنة لهذا الاحتياج من الأولاد متفرغة لمنحه لهم ؟

الأب مشغول بلقمة العيش في أفضل أحواله إن لم يكن مغيبا بإدمان ومقاه واستراحات أو بمواقع التواصل الاجتماعي، والأم مطحونة بعجلة الحياة في أفضل أحوالها تسري بين الأشغال وتعرج بين النكد والمشاكل والمسؤوليات إن لم تكن متنصلة من دور الأمومة والزوجية.. وحتى في تلك البيوتات المستقرة العالمة بدورها، هل تظنين أن ما يمنحونه لأولادهم من حب وحنان سيغنيهم ويعوضهم عن الحب والحنان من الجنس الآخر؟ هذا الاحتياج فطري غير مستغنى عنه بغيره في كل الأحوال، فلا حاجة إذن لتبرير قوته بعدم الحصول عليه من الأهل..

نرجع إذن لسؤال جوهري؟ كيف أتغلب على هذا الاحتياج فلا أقع في الحرام؟

سيكون من سؤال المستحيل ومن النصح بما لايطاق أن نسأل الفتاة أن تلغي هذا الاحتياج وأن تئده، لأنه كما سلف فطري جبلي ينمو فيها تماما كما ينمو جسدها وعقلها، لكن ما سنطالبها به أن تحاول ما استطاعت ترشيده وعدم إعطائه فرصة أن يهيج عليها فترتكب الذنوب وتنتهك محارم الله بسببه.النبي ﷺ قد أرشد الذي لايستطيع الباءة إلى الصيام، فأشغله من جهة عن حاجة الجسد إلى شهوة؛ بحاجته إلى شهوة غيرها، ومن جهة إلى الانشغال بمعالي الأمور وبالانهماك فيما يرضي الله ويقرب منه عن التفكير فيما لا يستطيع الحصول عليه على الأقل في الوقت الراهن.. وبنهج نبيك عليه أفضل الصلاة والتسليم أنصحك يا ابنتي أن تقتدي..

انشغلي بأورادك من قرآن وأذكار ومطالعة كتب دينية خاصة الفقهية منها كي تعلمي حقوقك وواجباتك وحقوق الله وحقوق زوجك المستقبلي عليك، وبدراستك وبهواياتك وبمساعدة والدتك في أشغال البيت من جهة كي تتعلمي، ومن جهة كي ترضيها عنك، ومن جهة كي تنشغلي عنك.. اهتمي بتعلم الأنوثة وبما ستستقبلين به هذا الحلم إن تحقق، وركزي على أمر مهم جدا وهو كيف تحافظين على عدم إهدار مشاعرك في الحرام ومع من سيجعلك تذلين وتنظرين إليك في ازدراء أو من سيجرك للرذيلة.. كيف تحافظين على نفسك وقلبك لفارس واحد هو من سيكون أبا لأولادك.. كيف تبقين في عينك شريفة نظيفة عفيفة فلا تنظري إلى أفلام ولا تهيجي مشاعرك بأغان ولا تخلقي علاقات مع الشباب بدعوى البحث عن إشباع عاطفتك فإنها لن تشبع إلا بالحلال..وبين كل هذا وذاك، استعيني بالله وتملقي له سبحانه ألا يكلك إلى نفسك طرفة عين وأن

يصرف عنك السوء وأن يعيذك من شر نفسك ومن شراك الشيطان وأن يكتب لك الصالح الطيب المحب الذي يملأ قلبك حنانا ومحبة

(186)

وأغلب ما يدعوك للتفكير، بل يفرض عليك التفكير؛ الصراع و الاصطدام: تصادم الأفكار في رأسك وتصادمك مع الأحداث. مع الممكن والمستحيل، مع الخير والشر، مع الشك واليقين، مع الفعل ورد الفعل، مع الواقع والخيال، مع الإمكانية والمحدودية، مع القدرة والعجز، مع الإقدام والإحجام، فتحاول ترتيب الفوضى التي تكتسح رأسك وفك شعث ما تداخل فيه، فتنتج بذلك فكرًا.

(187)

يا ابنتي،

لو ما كان للذنب من عقوبة سوى الألم والوجل والخوف الشديد أن يقبض الله الأرواح قبل توبة نصوح وإصلاح، وأن يفسد عليك بذكراه نومك وأكلك وحياتك ويمنع عنك طلب مصلحتك؛ لكفى بها عقوبة. فكيف والأمر جنة أو نار، وعفو أو نقمة، ونعيم أو جحيم، وقدوم على الآخذ بالذنب المنتقم شديد العقاب. وكيف وظلمة قبر ووحشة وعذاب أو نعيم. وكيف ومن استزلك متربص بك مخلص في أداء عمله جاد في الإطاحة بك لا يألو في ذلك جهدًا، ومالك من حصانة ولا عهد على الله أن يخلصك منه وقد ركنت إليه.

(188)

أحسست بأن الكل قد خذلوك وانفضوا من حولك؟

سمعت الشماتة بأذنيك ورأيت القطيعة بأم عينيك؟

كبلتك الشهوات وأَسَرَتك الذنوب؟

كلما عزمت على التوبة تخطفتك السبل؟

تكالبت عليك المحن وطوقتك الهموم؟

علمت أن كل الأسباب قد انقطعت بك؟

تأملت ضعفك وتيقنت من قلة حيلتك؟

خذي البشارة يا ابنتي :

(وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان)

(فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين)

سمع الرسول- ﷺ- رجلًا يقول: (اللهم إني أسألُك بأني أشهدُ أنك أنت اللهُ لا إله إلا أنت الأحدُ الصمدُ الذي لم يلِدْ ولم يولَدْ ولم يكنْ له كُفُوًا أحدٌ فقال: لقد سألتَ اللهَ بالاسمِ الأعظمِ، الذي إذا سُئِلَ به أَعطى، وإذا دُعِيَ به أجاب)

مرغي أنفك في سجدة، واستعيني ولا تكلي ولا تملي؛ فربك الله البر الرحيم القريب الجميل مجيب الدعوات.

(189)

لا أصعب على النفس التواقة والروح الطموحة من شبابيك المستحيل. تلك التي لا يمكن بحال أن تكون وهمًا أو مجرد استصعاب، بل هي فعلًا عوائق متربصة بالاستطاعة تمتحن منا اليقين.

لكنها وإن كانت موقنة بالاستحالة في نفسها؛ فهي تعلم أن القدير القوي لا يعجزه مستحيل.

(190)

كتب أحدهم رسالة طويلة جدًّا لصديقه وختمها بقوله:

«أعتذر عن الإطالة يا صديقي، لكنني لم أستطع الاختصار..»

هكذا نحن في الكثير من المواقف، يسعنا العسير بكل عسره، ولا نستطيع اليسير، تحصد أرواحنا كومات شوك، وتعجز عن قطف وردة، وتمتد أعيننا للسراب ويعجزها تأمل المروج.

ليس رضًا ولا قبولًا بالمتاح؛ إنما لعجز دفين متشعب يقف للاستطاعة بالمرصاد.

(191)

جميل يا ابنتي أن تصنعي لك قضية وأن تؤمني بها وتدافعي عنها، والأجمل مع ذاك أن تعرضيها على ميزان الشرع بفهم متزن واع شفيف.

(192)

يا ابنتي،

قد نُحرم بعض الرزق ويسلب منا حتى لا نألفه، فتغيب عن ألسنتنا معاني الشكر للوهاب سبحانه.

(193)

ننتظر أحلامنا دهرًا فإذا ما جاءتنا أتت مبتورة الجناح، فإما أن نحملها على أجنحتنا ونطير بها، وإما أن تقعدنا بالقرب منها.

(194)

نحتاج إلى أن نمنع الأحزان من التفشي بمجرد شعورنا بأنها بدأت تتسرب، وبأنها بدأت تنمو لها رؤوس كما رؤوس التنين. المقاومة حينها ستكون أبسط مما لو تركناها حتى هيجت علينا الأوجاع وجمعت علينا كشكول القديم والجديد. حينها تتسرب الكبة، ويصعب علينا العثور على رأس الخيط وتفكيك شعث ما تداخل فيها.

(195)

أهون ألف مرة أن تبقي هدفًا مأمولًا؛ على أن تكوني خيارًا مفتوحًا وتقبلي بذلك فقط لأن ذلك هو المتاح.

(196)

بعض هواجسنا ووساوسنا تخطها الذاكرة الموشومة بالخذلان.. هي نتيجة حتمية لبقايا مخزون الوجع في اللاوعي، وامتداد- شئنا أم أبينا- للخوف والخشية من تكرر المواقف، ومن استنساخ الصدمات، ومن تكرير التاريخ لنفسه، ومن استيقاظ تلك الجروح التي قاومنا كي تلتئم، ومن أن تتردد صدى- عند تشابه المواقف- صوت تلك الندوب الخامدة المخفية بمهارة في ثنايا الذاكرة.

فهل تشفى الذاكرة المعتمة تمامًا مع إطلالة خيوط النور؟

وهل تضمن لنا ألا تمتد شرائط الخيبة فيها أمامنا كلما زعمنا أننا محوناها وكلما أقنعنا أنفسنا أن الحال ليس كما الحال؟

وهل بنا من قوة كي لا تنتفض قلوبنا الغضة المرهفة كلما رأينا حبلًا؛ خوفًا من أن يكون ثعبانًا؟

(197)

أن تُفسَح لك أبواب الحياة، وتضيق معانيها في صدرك..

أن تري الحبل فتخشيه.. تظنينه ذات الثعبان الذي لدغك ذات غفلة..

أن تري الماء وتسمعي خريره وتتنسمي عبق الأزاهير المنتشرة حوله.. تفركين عينيك الوسنى فلا ترين ما حولك غير سراب أو هكذا تريدين أن تريه..

أن تغلقي أذنيك عن سماع همسهم، و عينيك عن رؤية طيفهم، وتنزعي نظارتيك كي لا تري..

أن تتكومي حولك كقندس يتهيأ لسباته الشتوي داخل نافقائه، وتكملي الرحلة غالقة كل المعابر وكل المنافذ وكل ما يذكرك ببهجة الحياة..

غادرة تلك الحياة.. حقًّا غادرة.

لكن غدرك بنفسك لا يقل عن غدرها، حينما تمنعين عنها الماء والهواء وتحرمينها متعة الركض بعد السقوط والبناء بعد الانهيار.حينما تلقنينها أن خط الزمان يقف ها هنا حيث تلك الحفرة التي أسقطتك وما أسقطتك هي، ولكنك بيديك حفرت خندقها. حينما تستمرئين النكوص وتستلذين بالضعف ويريحك حمل الراية البيضاء.

غادِرة أنت بنفسك حينها.. فلا تلومي بعدها غدر الحياة.

(198)

استعراض همومنا الدائم ومكثنا عند نقطة الألم يؤخر خطواتنا من أجل تحقيق مشاريعنا، ويعطل التخطيط المتزن لها. لتكن نقطة الألم بداية الانطلاق، فرحابة الحياة لا يقيدها هَمٌّ ولا يضيقها فشل.

(199)

فلأنه كريم جواد؛ جعل نبتتك طيبة، وغرسك متأصلًا في القرب منه سبحانه.

وتلك الفتيلة في أعماقك ستبقى ما بقيت فيك الروح، تتوهج أحيانًا، وتخبو أحيانًا، لكنها موجودة.

ولأنه عفو، تواب– سبحانه– يحب التوابين، ويحب من إليه أناب.

(200)

أخشى عليك يا ابنتي من فرط حناني ومن دفق مشاعري ومن عزف شراييني لعينيك نشيد الأمان. أخشى عليك أن أغرقك فتعتادين.. وتفتقدين ذاك الدفق يوم تفهمين بحق معاني الحاجة للدفء وللحنان وللأمان.

أخشى عليك يا ابنتي من صقيع هذا العالم، ومن جفاف أرواح عابري أرصفة الحياة.

فياليتني أستطيع أن أحجبك عن ثلاجات موتهم بين أحداقي وفي الوريد وبين شعاب الروح.

خاتمة

يا ابنتي،

إن قلتُ ذي عصارة تجربتي وزبدة تأملي في الحياة أملِّكها لك، فقد تظنين أن الحياة تورّث دروسها أو تهديها مجانًا على طبق من ذهب، وقد تسول لك نفسك أن ما قد قيل يكفيك كي تعبري دروبها في ثقة وأمان.

لكن ما هذا سوى ما عفت لي به، وما قطفته تارة باكية وتارة مستبشرة وتارات بين تردد وحزم وحيرة وشك ويقين، وما زالت تجود علي بدروسها ما دمت رضيت أن أكون تلميذة لها، فاستنصحي يا ابنتي برزق قد ساقه الله إليك من غير حول منك ولا قوة، واستكملي المواعظ والعبر من شقك بحرها وغوصك في لججها وبحثك عن الدر الكامن في قيعانها.

وفي الأخير، ما أقول إلا كما قالت الأعرابية- ناصحة ابنتها وهي تزفها-: «إن الوصية لو تُركت لفضل أدب تُركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونةٌ للعاقل"..

فاسألي الله العقل يا ابنتي، واسأليه البصيرة، واسأليه الأمان في عبور جسور الدنيا، وأن يبلغك بفضله المآمن.

يا ولدي، احفظ عني

كمال اليماني



ربِّ يسر وأعن، يا كريم

الحمد لله المنعم بالإحسان، والصلاة والسلام على خليل الرحمن، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان..

يا ولدي،

"كتبتُ لك هذه الوصايا، وأنا بعدُ لم أرك، وقد بلغتَ من العمر أربعًا، حتى إذا ما كبرتَ لا تقل: لم يترك لي والدي أثرًا!".

هذا ما كتبتُ يوم أن شرعتُ في كتابة هذه الإشارات، كنتُ في غربةٍ طالت بي حتى ظننتُ أن لا لقاء، فكنتُ أدون ما يمر بخاطري مما تعلمته من حياتي هذه؛ حتى يكون مثل الوصية لأبنائي!

واليوم، وقد مَنَّ اللهُ باللقيا، فقد زاد حرصي على نشرها بين أولاد المسلمين، عسى الله أن يجعل فيها النفع، وأن تسهم بشيء لجيلٍ نؤمِّل فيه الكثير، فاللهم ربِّ لنا أولادنا؛ فإنا لا نحسن.

المؤلف

إهداء

وإن "أمي" يا ولدي هي القلب نفسه، ومهما قلتُ فيها ما وفيتُ، ولا أجد إهداءً يوفيها شكرها، لكنني أعلمها ذات نفسٍ راضية صافية، جمعني الله بها في دار كرامته.

وكذلك "أمك" حبة القلب، فهي مَنْ كنتُ حَمَّلْتُها أمانةَ تبليغ هذه الكلمات لكم إذ كنت مغتربًا، وعِشْتُ عُمْرًا لم أركم بعد، بلغ أربع سنوات من مولدكم.

فلمّا مَنَّ الله باللقاء كنتم كمن لم يغب عنهم والدهم طرفة عين!

.. فجزاها الله عني خيرًا.

(1)

يا ولدي،

الزم الصراط المستقيم..

ولا تكن مثل الذين يمشون على الحبال، فإنهم قد لا يستطيعون المشي على الصراط، فيسقطون في جهنم، ثم لا يجدون تصفيقًا، بل صياحًا وعويلًا، ثم لا يخرجون منها، ولا هم يُستعتبون.

(2)

يا ولدي،

كن محبًّا لربك، واعلم أنَّ على المحب إذا قَصَّر في حَقِّ حبيبه أو خالفَه أن ينتهي سريعًا، ويعلم أنَّ حبيبه مقيمه على ما كان عليه من قُربٍ، فذلك من شروط المحبة، فكلما وقع المحب أقامه المحبوب وعفى عنه "إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف".

(3)

يا ولدي،

الزم كتاب ربك عز وجل وخذه بقوة، واعلم أنه أسهل الكتب قراءةً، وحفظًا، ودراسةً. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر:22).

ثم اعلم أن السنة نور وهدى؛ فصاحبها لا ينطق عن الهوى- ﷺ- فالزمها، وعَضَّ عليها بالنَّواجِذِ. ولا تَقْبَل بغيرها هَدْيًا.

(4)

يا ولدي،

عليك حُبّ أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وسائر الصحابة أجمعين، وأمهات المؤمنين؛ فهم أفضل الناس بعد الأنبياء، وهم الذين نقلوا إلينا هذا القرآن غضًّا طريًّا كما أنزل بلا زيادة ولا نقصان، فمنهم من كتبه بيده، ومنهم من جمعه، ومنهم من جمَّع الأمة عليه، ومنهم من فسَّره، ومنهم من قاتل دونه بل فعلوا أكثر من ذلك، أفلا يكون أقل ما تقدمه لهم هو محبتهم، والترضِّي عليهم. رضي الله عنهم أجمعين؟!.

(5)

يا ولدي،

ستقرأ عن قصة رجل كان عابدًا لربه طيلة عمره، ثم هلك. وما نَفَعَهُ مَنْ أَهْلَكَه، بل تبرأ منه. لكنه لم يهلك مرة واحدة، إنما هي خطوات مشاها الشيطان به حتى أوصله لهلاكه.

ألا ترى أن الطائع لا يصبح طائعًا مرة واحدة، وإنما هو يتدرب على الطاعة رويدًا رويدًا حتى يستقر عليها فيكون من الطائعين؟!

فكذلك العاصي، لا يقع مرة واحدة، إنما هي خطوات.

ولو نظرتَ في كل ما حولك ستجد أنه لم يكن هكذا مرة واحدة، وإنما هي خطوات..

فيا ولدي، انتبه.. إنما هي خطوات.

(6)

يا ولدي،

ما من ذنب إلا ومنه توبة. فإذا ما وقعتَ فَقُمْ، فإنك ما تزال في خيرٍ ما دمتَ على أعتابه، فإنه حليمٌ كريم.

إلا أني أذكرك قبل أن تقع:

"إِنَّ اللَّهَ لَيَعْجَبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَ لَهُ صَبْوَةٌ". يعني: لا يميل ولا ينحرف.

فإياك والعثرات.

(7)

يا ولدي،

كن من أمر نفسك على حذر، فلستَ أفضل من عمرَ،فقد قال لحذيفة: "أسمّاني لك رسول الله في المنافقين؟".

(8)

يا ولدي،

ليس بكثير كلام تبلغ ما تريد.. بل بأدّقهِ وأصْدَقِهِ!

وانظر.. كيف قالت أمك خديجة لقلبك محمد- ﷺ - حينما راعَه أول الأمر: "كلا، واللهِ لا يخزيك اللهُ أبدًا..".

فاصْدُقْ.. واقْتَصِدْ.

(9)

يا ولدي،

سِرْ وحيدًا، ولا تتعلق بمؤانس، فإنك تبقى قويًّا، وتبقى نقطة ضعفك مجهولة، ولا تكون مهدَّدًا ببُعْدِ أنيسك من إخوانك.

وعليه، فإذا ما أهملك أخوك ولم يرع أحوالك، ولم يشركك في أمرٍ يسره أو يضره، بل ولم يكلف نفسه عناء الاطمئنان عليك، أو الرد على اهتمامك به، بل جعلك في أقل مرتبةٍ في قائمة اهتماماته؛ فحينها يكُن قلبك غير مبالٍ بقرب هذا أو بُعد هذا.

(10)

يا ولدي،

الحياة مليئة بالهموم والأكدار والمحن؛ لذا سِرْ ولا تلتفت؛ فإنك تسابق الزمن، فإما تكون أو لا تكون.

وفي هذه الحياة.. كلٌّ يدلي بدلوه، فلا تهتم بمن يسابقك فيها، فإنه لا يضرك تشويشه؛ لأن الله يقول: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (الرعد:17).

واعلم، إنه لا يكون عز ولا رفعة في هذه الحياة إلا بإحسان وبذل مع صبر ويقين ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (هود:115).

ولن تثمر بذرة إلا إذا دفنت، فادفن نفسك حتى تتعلم وتتخلص، وحينها ثق بأن الثمرة مباركة.

(11)

يا ولدي،

لقد مَرَّتْ بنا أيامٌ لا ندري ليلها من نهارها، وبلغ بالبعض أن لا يدري حقَّها من باطلها، رأينا مظلومًا لا يُنصَر، ومقهورًا لا يُواسَى، ومُعْدَمًا لا يُعطَى، نطق فيها السفيه، ولا أثر فيها لعالم. فإن مررتَ على مثلها؛ فاستمسك بربك. وفقط!

(12)

يا ولدي،

أتدري!

أريد أن أصارحك بشيء..

أنا لا أريد منك لنفسي شيئًا، ولا أريد لك شيئًا من دنيانا هذه..

فقط: أطع ربك ورسولَه، وكن ناصرًا لدينك الحقّ ما حييتَ.

(13)

يا ولدي،

لا عليك بعيون الخلق، فإن المقصد الخالقُ، وفقط.

هو يغفر التقصير، ويجبر المكسور..

يقبل الإحسان، ويرضى منه بالقليل..

وحده- سبحانه- يستر ويعفو ويرحم ويجازي يوم مُسْتَقَرِّنا، وفي معبرنا هذا!

يا ولدي،

ضع نُصْبَ عينيك ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة: 255).

(14)

يا ولدي،

لقد تغربت عن موطني زمنًا ليس باليسير، رأيتُ في غربتي أقوامًا من الشرق والغرب، عَربًا وعجمًا، أهلَ حضرٍ وبادية، أغنياء وفقراء ومساكين، رجالًا ونساء..

تختلف الطباع والمهن والمشارب والتوجهات..

كل ذلك لأقول لك بيقين: إنه لا يمكن تعميم مدحٍ ولا ذم في أهل محلة بعينها،فإنك تجد الكريمَ في أهل بخلٍ، والودودَ في أهل قسوةٍ، والعدوَ في أهل محبة!

فاعتمد- في معرفة ومعاملة الخلق- الميزانَ الرباني ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات:13).

ولا تغتر بعروبتك ونِسْبتك: (لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، وَلاَ أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى).

ولا يحملنك لئيمُ قومٍ على أخذهم بجريرته فيما بينك وبينهم، فإنك حتمًا لا ترضى لنفسك أن توضع على مثل هذا المسلك، وإن رأيتَ نفسك فاضلًا، فإن في القوم مثلك ولا شك!

(15)

يا ولدي،

دعاءُ أُمِّكَ لك، أم دعاؤُها عليك؟

دعائي لك، أم..؟

إنك لا تحزن لدعاء أمك عليك بقدر حزنها وألمها!

يا ولدي،

ما قيل لك: "أمك ثم أمك ثم أمك" من فراغ...

يا ولدي،

ما قيل لك: "أنت ومالك لأبيك" من هونٍ!

يا ولدي،

دعاء أمك وأبيك مجابٌ، فاجعله لك لا عليك.

(16)

يا ولدي،

لا تحكم على أحدٍ من أحد.

فإذا ما ذهبت للعمل في مكان جديد، لا تدع أحدًا يملي عليك انطباعك عن فلانٍ وفلانٍ في هذا العمل.

لا تأخذ رأيه فتسيرَ عليه في معاملة هؤلاء، فإن الناس يختلفون في أفهامهم وأحكامهم، فليكن فهمك وانطباعك أنت هو مصدر حكمك عليهم.

لا تدري! ربما لا يروقون له، ولكنهم يروقون لك..

ربما بينهم مشاحناتٌ، أو لم تتآلف أرواحهم، وهذا لا حكم لأحد فيه؛ فالأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تنافر منها اختلف.

غاية الأمر سؤال:

لماذا تأخذ حكمًا أو انطباعًا أو موقفًا مُسْبقًا مع من لم تتعامل بعد معهم، أو ربما لم تقابلهم بعد؟

كنت أسمع مثل هذه الانطباعات قبل أي عمل أذهب إليه،وكنت لا أعيرها اهتمامًا، لا أحب إلا أن أحكم بنفسي.

وكثيرًا ما كنت أجد الذين حُذِّرتُ منهم قومًا فضلاء، أو ما يُذكر فيهم ليس حقًّا، أو إنه يمكن التعامل معهم على خلاف ما يعتقد مَن حاولوا حَقْني بانطباعاتهم.

ووجدتُ كذلك أسماءً عَظَّمُوهَا، وحينما عامَلْتُها، فإذا هي أسماءٌ لامعة لقلوبٍ باهتة.

(17)

يا ولدي،

نصيحة ضعها نصب عينيك، لن أكثر عليك فيها، فهي ورغم قلة حروفها؛ إلا أنها أمر يفرق كثيرًا معك، ومع مَن حولك، فإن الصدق فيها- وإن كان صادمًا- يحيي، والكذب يميت!

ألا وهي:

إياك وخداع المشاعر والقلوب!

(18)

يا ولدي،

وماذا يضيرك أن ينجح فلان وفلان!

ما نقص نجاحه من رزقك وما هو مكتوب لك؛ شيئًا!

وما زادك عدم نجاحه؛ شيئًا عما كُتب لك!

طِب نفسًا.

فإن معرفة الناجحين نجاحٌ لا يبلغه إلا ناجح.

فكن هذا الناجح، فإنهم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

(19)

يا ولدي،

إنها ريحانةُ البيت، أنت عزُّها وفخرُها بعد أبيك..

إنها أختك.. عنوان رجولتك وحسن فهمك ونبل أخلاقك، ليستْ سطوتك عليها دليلًا على حبك لها، ولا سبيلًا إلى حبها لك!

وانظر فيما بينك وبين نفسك، أيهما أبلغ عندك:

أن تأمنك وترجع إليك في خاصة أمرها، أم تكون أنت كابوس يقظتها وعائقها إلى نفسها؟!

يا ولدي،

أختك.. أختك.

(20)

يا ولدي،

ما كان النجاح يومًا في حفظ كلمتين أو ثلاث، بل ما كان في جمع ما لا يُحصى من الكتب، إنما النجاح عمل.

وإن حرفًا تفهمه فتعمل به، فيقرّب قلبَك من ربِّك، لخيرٌ مما طلعت عليه الشمس من جُمَلٍ لم ترفع ذِكْرك عند ربك!

لكَم قرأ الجاحدون بربهم من كتب! ولكم حفظوا من متون! ولا زالت أقدامهم على مواضعها!

وليس هذا داعيًا إلى تكاسلٍ أو تقليل من قيمة العلم، إنما أدعوك أن تنجح في العمل بما تعلمتَ، فإن النجاح أن يُسْمَحَ لك أن تقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ (**الحاقة**:19).

(21)

يا ولدي،

إذا مَنَّ الله عليك، وأدام عليك العافية، ورغبت في زواج، فصُنْ بيوت المؤمنين، وعليك بالقصد، ولا تجرح وجوه العفيفات، ولا تكسر قلوبهن، ومن لم توفق لها أو لك، فادع لها بالخير، واحفظ سمعك وبصرك عنها، فإنك لا تزال في خير وسعة ما لم تؤذِ مؤمنًا.

واعلم أنهم ما أظهروا لك جواهر قلوبهم إلا بما حسبوه فيك من جميل الشيم، فليكن خروجك كما كان دخولك، ولتفز بدعوةٍ لك لا عليك.

(22)

يا ولدي،

كن كبير القلب، واسع الصدر مع إخوانك..

فإن أهملوك فاهتم بما يسعدهم..

وإن باعوا ودك فصُنْ ودهم..

وإن خذلوك فانصرهم..

وإن غمزوك ولمزوك فاحفظ غيبتهم ورد عنهم..

واعلم أنهم لا يفعلون ذلك إلا لثقتهم في نبلك ومراعاتك لأخوتهم.

فكن عند الظن وعلى قدر المسؤولية.

(23)

يا ولدي،

لا تلجأ للمراهنة، فكل الأحصنة خاسرة. ولكن الجأ إلى ثوابتك، فمهما تكن النتيجة فأنت رابح، إنما هي إحدى الحسنيين.

(24)

يا ولدي،

ما أجمل أن يخطئ فيك أخوك ويأتيك معتذرًا فتكفيه موقف عتابك، وتقصر عنه نظرتك الشامتة أو اللائمة له. بل ما أروع أن تلين له وتلاطفه كأن لم يكن شيئًا.

ولا ألذ ولا أرقى من أن تبيت مبتسمًا، مسامحًا لكل المسلمين. صافي القلب والصدر، داعيًا لهم راجيًا من ربك؛ قائلًا:

واغفر لإخـواني جميعًا ذنبَهم واسـتر عليهم يا حليم وِكِثِرَا

(25)

يا ولدي،

لا تتعجل الحكمة فيما قُدّر لك، غدًا تنكشف وأنت أسعد الناس ﴿قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ (الطلاق: 3).

(26)

يا ولدي،

الناسُ.. لا دخل لهم بما تعانيه، بما تتألم منه، بما تحمله في قلبك من أنات وآهات.

نعم، ربما يتحملون.. يتجملون.. يحتسبون..

لكنهم.. بلا شك سيتململون.

(27)

يا ولدي،

لا تحزن إن تكلموا فيك بما لا يرضيك خلف ظهرك، فإن اغتابوك فهو خير لك، حسنات لم تسع لها.

وإن قالوا فيك ما ليس فيك فقد بهتوك، ولا ضير.. فأجرك محفوظ.

ولا تحزن لعدم اطلاعك على ما تكلموا به، فإن ربك يسمع ويرى،

وحقك لا يضيع إلى يوم الدين، وقد سلم صدرك من سماع ما تكره، ويبقى صدرك نظيفًا لإخوانك.

(28)

يا ولدي،

كلما ردوك عن جادة طريقك.. فعُد إليه، ولا تلتفت لهم.

غاية ما هنالك أنهم يعطلونك بعض الوقت، ومع إصرارك سيملون حتمًا، وستصل في النهاية.

ولو جاوبتهم، وتحطمتَ، ومللتَ.. فلن تصل أبدًا، وحينها في عتمة إخفاقك لن ترى إلا لمع عيونهم الشامتة، وستصمّ حتمًا من رنات حناجرهم المستهزئة.

عُد.. وستصل.

(29)

يا ولدي،

الكلمة المسمومة.. أشد من السهم المسموم، وخاصة عن قريبٍ حبيب، فكن نبيلًا في معاتبة أخيك، خاصةً فيما فيه احتمال وتوجيه، وليكن من قواعدك (يسعني الصمت، أعرض عن هذا) ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر: 10).

(30)

يا ولدي،

كن بعيدًا عن كل أجواء الصخب؛ لترتفع فريدًا، مميزًا، وإلا.. ضاع صوتك وسط الضوضاء، وأفضل البيان: ما كان غير مختلط.

(31)

يا ولدي،

من الممكن أن ترى كثيرًا من المتسولين يمدون لك أيديهم، لكنك تحجم عن إعطائهم، ليس بُخلًا منك، وإنما لمعرفتك بأن كثيرًا منهم غير محتاجين، بل مخادعين.

لكن المشكلة الحقة: أنك لا تدري، هل هذا من المحتاجين حقًّا أم المخادعين! والفطن إن أراد أن يعطي فليُعْطِ الكُلَّ ما أمكنه ذلك، فإن كان محتاجًا فقد وفيتَ، وإن كان مخادعًا فقد أُجِرتَ ولعله يتعفف. ولا يعلم حاجة الناس إلا من عاينها.

(32)

يا ولدي،

وأنت في سيرك.. لا تلتفت خلفك حيث ملاحقة الأعداء لك؛ فإنه حينها يهتز تقديرك، وترتبك خطوتك، ويرى عدوك في عينيك رعبًا وهلعًا

فتزداد همته في ملاحقتك، توافقًا مع ثقل حركتك.

فإياك، إياك والنظر خلفك، وليكن اتجاهك واحدًا فقط.

أمام عينيك.

(33)

يا ولدي،

لا تقف عند الصدمات كثيرًا..

ولا تنتظر بكاء أحد عليك، بكاؤهم لحظي، ثم يستديرون عليك، أنت السبب فيما حدث لك.

ولا ضير أن ترى أنك من تسبب في ذلك، شريطة أن تكون أيضًا سببًا في تخطي هذه الصدمات.

والعاجز من تدمع عينه قهرًا، لكنه لا يحرك يده ليمسح دمعته، ليراها غيره فيمسحها. أنت واهم، لن يمسحها أحد.

(34)

يا ولدي،

تَكَلَّم..

حتى وإن كانت الكلمة عائقًا في سبيلك، حتى وإن كانت سدًّا منيعًا في

نيلك مكانك الذي تستحقه؛ لأنها لا تعجبهم.

لكن تأكد، يومًا ما ستفرض نفسك بما معك من حق ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ (الأعراف:128)..

(35)

يا ولدي،

كلما ضاقت بك، فكن مستبشرًا، فإنك تعلم يقينًا أن بعد هذا الضيق فرَجًا عاجلًا، فإن مع العسر يسرًا.

خلافًا لحالة ما إذا كنت ميسورًا في أمرك، فإنك على ترقب وخوف لما بعده، فليس بعد اليسر إلا العسر. ولن يغلب عسرٌ يُسرين.

(36)

يا ولدي،

هناك من الناس أناسٌ إذا كانوا في حالة رضًى مَدحوا، وإذا كانوا في حالة سخطٍ ذَمَّوا.

هؤلاء لا تأخذ منهم قولًا، ولا تستشرهم أبدًا، صادقهم.. ولكن توقع تغيرهم بلا سابقةٍ، لا تحزن إن فارقوك بلا جرمٍ؛ هم في الأصل لم يصاحبوك إلا لحظة تغيروا فرضوا عنك.

(37)

يا ولدي،

عليك أن تسعد وتفتخر بنجاح أقرانك، فإن سلامة الصدر تقتضي أبلغ من ذلك، وإن لم يسعدوا هم بنجاحك، وإن ضيقوا عليك، وإن أهملوك كذلك.

إن رجاحة عقلك وسلامة دينك، يقتضيان أن تسعد بنجاحهم؛ لأنه نجاح لك، فإنك عرفتَ قومًا في مصافّ الناجحين.

(38)

يا ولدي،

أحذرك نفسيةَ المُضّطهَد..

فإنها: تورث صاحبها الحقد والتعامي عن الحق وعدم قبوله مهما يكن، مع تمنٍ خفي بداخله بفشل خصمه، وتتبع زلله والتشهير بها، إنها نفسية قاتلة حارقة لقلب صاحبها، مانعة له من معرفة عيوبه، ومن ثَم إصلاحها.

(39)

يا ولدي،

الذي يريد الحق يبلغه بأيسر ما يكون، ألم تسمع لمقولةٍ قالها أعرابيٌ لا يقرأ ولا يكتبُ ولم يأته من العلم مثل ما أوتي غيره! وقد سُئلَ كيف عرفتَ ربك؟!

كيف عرفتَ أن للكون إلهًا! قال متعجبًا بفطرته: سبحان الله! الأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدل على اللطيف الخبير!

(40)

يا ولدي،

أغمض عينيك..

تخيل أنك أغضبتَ عزيزًا لديك..

ثم ما لبثتَ أن أرضيتَه في اليوم التالي..

ثم... مات!

تدري! كلما ستذكره فستبكي..

ليس؛ لأنه قد مات.

لكن؛ لأنك تتخيل حالك كيف سيكون أمرك لو أنه لم يُمهَل، ولم توفق لمصالحته، فمات مُغضبًا.

يا ولدي، لا تنم وفي قلب أخيك منك.

(41)

يا ولدي،

إن كثيرًا من الأحلام قد تنالها في نومك إلا الجنة، فإنك لن تنالها إلا بيقظتك.

(42)

يا ولدي،

اقرأ ما تريد..

اسمع ما تريد..

شاهد ما تريد..

احفظ من القواعد والمبادئ والكتب والمتون ما تريد..

لكن، لن تنجح بكل هذا إلا إذا اتخذت الخطوة الفارقة.. "العمل".

(43)

يا ولدي،

باختصار..

حينما تتنكر لثوابتك، ظـنًّـا منك أنك سترضي من لا يرى أنها من الثوابت، فأنت واهم؛ فالأضداد لا يمكن خلطها.

(44)

يا ولدي،

هناك فرق: بين أن ترفض موقفًا أو تنتقد رأيًا، وبين أن تهدم مع كل موقف ترفضه كلَّ محاسن من لا توافقه في الرأي.

تحرك داخل إطار واحد فقط "كلٌّ.. له وعليه".

(45)

يا ولدي،

الظلم ظلمات..

إياك مهما كان المظلوم ومهما كانت طريقة انتصاره أن تتخلى عنه، إياك لكرهك له أو لطريقه أن ترضى بظلمه.

القهر مع العجز موت في حقيقته.

(46)

يا ولدي،

رسائل تليفونك...

هي نفحات محبيك إليك، هي الورود التي يقطفونها ليهدونها لك تعبيرًا عن اهتمامهم بك وتفكيرهم فيك ومودتهم إليك.

فاحرص أن لا تذبل منك هذه الورود.

(47)

يا ولدي،

عدوك إن لم ينتصر عليك جرَّك إلى طريقٍ به يعطلك عن مسارك... فكن فطنًا ولا تلتفت إلى بنيات الطريق، واتركه حتى لا تنشغل به عن حقيقة أهدافك.

(48)

يا ولدي،

يكتب تاريخُ الأمم كلَّ من قدم لها فكرًا وعلمًا وأثرًا نافعًا في صدارة صفحاته، بينما المهرجون لا يذكرهم إلا ذآمًّـا لهم، فهم في تاريخ الأمم مجرد حواش سفلية. فكن في متن التاريخ!

فإن المهرج يعيش ويموت ولا يبقى له أثر مفيد، يضحك الناس منه طول حياته لتهريجه، ويخفت ضوؤه بموته أو بظهور مهرج أكثر تهريجًا منه. ولا يذكره الناس بعد موته إلا على ما عاش عليه من تهريج. فلا أثر ولا فائدة.

ولكن من عاش ليعلم الناس- وإن أخطأ مراتٍ- فلا يذكره الناس إلا أنه معلم للخير، راغب فيه، ويبقى أثره بموته ولا يخفت ذكره وأثره بظهور من هو أحرص منه على الخير.

وإنما يلتقيان في طريق يكمل فيه الكل بعضهم...

وتبقى العاقبة لما ينفع الناس ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ (الرعد:17).

(49)

يا ولدي،

ستجد في حياتك مثبطين ومحبِطين لك، فدعهم وواصل سيرك ولا تلتفت لهم مهما كانت منازلهم أو أسماؤهم.

(50)

يا ولدي،

التهور من الممكن أن يضيع أمة بأكملها ويعرضها للخطر، وكم في التاريخ من ذلك كحادثة محاولة أبرهة لهدم الكعبة، فإن خطأ فرد كاد أن يكلف أمة كاملة ويهلكها!

لذا؛ احسب مواقفك حتى ولو كانت فردية، فإننا أمة واحدة تتأثر جماعاتها بتصرفات أفرادها.

(51)

يا ولدي،

والحب عذْبٌ جميل!

وإن حب الله لا همس للألم فيه..

ولا شك في ربحه..

دمعاته رضا وسرور وقرب..

حزنه أمل.

اللهم ارزقنا حبك، وحب من يحبك، وحب كلّ ما يقربنا إليك.

(52)

يا ولدي،

أتدري ما الخسارة!

الخسارة يا ولدي أن تعيش موهومًا بثناء الناس عليك،

مُغترًّا بجميل ستر الله عليك.

الخسارة يا ولدي أن يكون لك ذكرٌ في الأرض.. وأهلُ السماء لا يعرفونك!

الخسارة يا ولدي أن تحفظ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، وتنسى ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾.

يا ولدي،

الخسارة أن تعمل بعيدًا عن سبيل الحق، وقد بلغنا في القرآن أن أقوامًا عملوا أعمالًا رجَوْا من ورائها خيرًا كبيرًا، لكنهم غفلوا عن طريق الله ورسوله، فكانت حسرة عليهم وخسارة ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ (الفرقان: 23).

(53)

يا ولدي،

إن فقدتني فستحزن، ولا جرم.

ومهما طال حزنك، فهي أيامٌ وتنقضي، وربما تجد من يهون عليك مصابك، وعساك أن تعزي نفسك بأعظم مفقود- ﷺ-

وأنت في غمرة حزنك تنبه.. أمامك دارٌ إنْ حزنتَ فيها فحزنك لا نهاية له، ولا يدٌ هناك تواسي، ومهما يكثر حولك فيها من أصوات فإن شغلك بنفسك أغفلك عن وجوههم أو التعزي بهم.

(54)

يا ولدي،

لعلك تتساءل..

مالي أراك تحمل الهم في كلماتك؟ ألا يوجد لنا فُسحة من أمرنا! ألا يحق لنا أن نتذوق من الدنيا!

يا ولدي،

أمَّا حزني وهمي، فإنك صادقٌ فيه، وإنه ناتج عن خوفي عليك، ورجائي لك بأن تكون لله.

وإن في أمرنا لفسحة عظيمة والله، فما جُعلتَ بأرض هوان ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ** ﴾ (الأعراف:32).

فمن هذا الذي يضيق عليك ما وسعه ربك؟ ولا يسعد بها حق السعادة إلا مَن كان مؤمنًا ﴿ **قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ** ﴾ (الأعراف:32).

وإن النفوس لمجبولةٌ على السعي في جني لذائذ الدنيا، ولا يكون فائزًا بها حقًّا إلا من سعى في جنيها لله.

(55)

يا ولدي،

لا تتوجس ولا تكن في قلقٍ من الحب، فلا لوم عليك فيه، فإنه نسيم يغزو القلب ويسيطر عليه، ولا يملك أحدنا له قرارًا!

مَن له حُكم على قلبه؟ مَن يستطيع– مهما حاول– أن يفر من الحب!

بل.. مَن الذي لا يفر إليه! بل.. كيف نحيا بدونه!

وإن من عجائبه أن القلوب تسعد منه بكلمة!

وتشقى فيه بكلمة!

ومبناه ومُسماه على كلمة!

ينعقدُ نبض قلبين.. على حرفين، فيرتبطان بكلمة!

ولكنّ النظر فيما ينتج عنه من حلال وحرام.

فترقبْ حلاله؛ فإنه آيةٌ فيها سكنٌ ومودةٌ ورحمة ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:21).

(56)

يا ولدي،

أتذكر وأنت ابن خمس سنوات، يوم أن أزعجتني، وأردتُ ضربك؟

أذكر حينها أنك قلت لي: "لحظة يا بابا.. مش انت بتحبني؟" فقلت لك: نعم. فقلتَ لي:"هو فيه حد بيضرب اللي بيحبه!".

فابتسمتُ وقلت لك: وهو فيه حد بيغضب اللي بيحبه! فقلتَ لي: "لا، أنا آسف".

يا ولدي،

إن ربك يحبك، فكن على ما يحب.

(57)

يا ولدي،

حينما ستكبر- حتمًا- ستقرأ أو ستسمع عمَّا مر ببلدك من أحداث، سيدور برأسك الكثير من الأحداث والمشاهدات، وأنا على ثقة بأن أكثر شيء سيحيرك وستقف مشدوهًا أمامَه: لماذا جبُن هؤلاء! وإنهم همُ!

يا ولدي،

إنما أجبَنَهم؛ قلةُ علمهم بربهم..

(58)

يا ولدي،

كثير مما يُطلب منك، مُعَرَّضٌ لأنْ لا يحدث، فلا تتعجل الرفض ابتداء "ما لم يكن إثمًا".

كان يُطلب مني بعض الأعمال والتكليفات وأنا كاره لها أشد الكره.. لكنني ما كنت أرفض خوفًا من إيغال صدر أحد.

ومع ذلك ما كنت أحمل همَّ الغد، فلا يأتي إلا وقد صرف عني بفضل الله الكثير دون أثر في قلب أحد.

يا ولدي،

"لا تعبر جسرًا حتى تأتيه».

(59)

يا ولدي،

إن أفضل ما في حياتك حاضرها..

وهو ما بين ماضيها ومستقبلها...

شيء فاتك..

وآخر لا تملكه..

ومن الغبن أن تهمل ما تملكه حتى تفقده، أو تؤجله لما لا تملكه.

(60)

يا ولدي،

إنك لا تستطيع رده، ولا الاعتذار منه ولا استعطافه، ولا الهروب ولا التعلل ولا إرجاءه!

وإنه لا يستأذنك قبلُ، ولا يَعتذر بعدُ، ولا تأخذه بك رحمة أو شفقة، ولا يتوانى في أمرك، ولا يؤخرك ساعةً ولا يقدمك!

يا ولدي،

إنه الموت فكن حذرًا.. فلا عودةٌ ولا عمل

(61)

يا ولدي،

وأنت تسير في حياتك هذه تفحّص مواضع قدمك، فإنك مع كل خطوة فيها جالب لنا دعوةً بخير، أو لعنةً وشر!

ذلك أنك سفيرنا بين الناس، حضرنا ذلك أم غبنا عنه!

(62)

يا ولدي،

وإن حسبوك على شيء، فقل لهم: لست على شيء. بل على أشياء!

ذنوبٍ ومعاصي، وستر من حليمٍ كريم.

(63)

يا ولدي،

والنور التام في مشيك بالظُلَمِ، إنها مشية عزةٍ وقلب واثق، مشية سكينة

وروح موقنة!

صلاة الفجر يا ولدي نور يسكن القلب ويضيء الوجه ويرضي الرب.

وإنك مُبَشَّرٌ بتلك المشية من رسول كريم "بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِى الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

(64)

يا ولدي،

وصادق المحبة للقرآن يقرأه، ويسمعه، ويصلي به، ويتأدب بآدابه، ويحل حلاله ويحرم حرامه، ويقف عند آياته؛ لذلك تقبل دعواه ويرفع بها في الدنيا والآخرة «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا»، كذلك، «ويضع به آخرين».

وهم الذين ادعوا المحبة بلا دليل فهي مردودة عليهم في الدنيا والآخرة فيقال لكل مدعٍ "كذبتَ"، "ثم يؤمر به فيسحب على وجهه في نار جهنم".

(65)

يا ولدي،

والصور تكذب، ولربما أظهرتْ حُسنًا يخفي قُبحًا، أو قُبحًا يخفي حُسنًا.

فاحكم بالأثر لا بالنظر.

(66)

يا ولدي،

والنُّبُلُ شيمة ندرتْ، هو تاجٌ على رأس الشيَم.

فكن ذا قلبٍ نبيل، محبٍّ للخير، مسامحٍ، كبيرِ الرَّحْب، يعفو ويغفو، لا يجرح وإن جُرِحْ، لا يرد قلبًا عنه وإن لم يَشعر به!

(67)

يا ولدي،

أريد أن أنصحك بشيء، ربما استغربتَه، لكنه يكون عظيمًا إذا احتسبتَه..

ذلك أني إذا سِرتُ بطريقٍ ووجدتُ مبلغًا- ريالًا أو ريالين- كنت أتركه وأقول: لربما يمر من هنا طفلٌ صغير فيجده؛ فيفرح به أشد ما يكون الفرح!

وإن فرْحتَه عندي بالدنيا وما عليها، فإن إدخال السرور على المؤمن من أفضل الأعمال.

(68)

يا ولدي،

أتذكر يومًا كنتَ تصلي معي الجمعة، فقلتَ: يا بابا. إيه الصندوق الصغير اللي الناس بتحط فيه فلوس ده؟

فقلتُ لك: ده صندوق الآخرة..

فأصررتَ يومها على أخذ ما تضعه فيه، فرحًا مسرورًا، وفي عينك رجاءٌ بالقبول.

يا ولدي،

داوم عليها ما حييتَ، فإن صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والصدقة تطفئ غضب الرب، وإن صندوق الآخرة موثوق، لا تسقط منه مثقال ذرة.

(69)

يا ولدي،

لا يصدنك صغر سنك عن النصح وقول الحق، فإنك واجدٌ مَن يقبله ولو كان يسبقك علمًا وسنًّا!! وإنَّ عليك البلاغ وفقط.

لكن احرص على أن تتوج نصحك بأدب وحسن منطق.

(70)

يا ولدي،

كان يحكى أن شاعرًا جاءته قبيلته تقول له: أنت شاعرنا الفذ، وإنا قومك، فمجّدنا بشِعرك.

قال لهم: افعلوا؛ حتى أمجدكم!

فافعل، فإن المتشبع بما لم يُعطَ كلابس ثوبي زور.

(71)

يا ولدي،

وهل سمعتَ عن رجلٍ خرج ومعه قوسٌ بلا نشَّاب، فقيل له: أين النشاب؟

فقال: يجيء إلينا من عند العدو.

فقيل له: فإن لم يجيء؟

قال: إذًا.. لم تكن هناك حرب!

فلا ترم الناس بسهامٍ لربما ردت إليك فقتلتك.

(72)

يا ولدي،

قد وعد، وحاشاه أن يخلف، بل قد أقسم وهو البر الرحيم ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ (الذاريات:22 - 23).

فعلق قلبك بالبر الرحيم، ونزهه عن التعلق بعبدٍ لئيم، واطلب الرزق بعزة ويقين، فإنك والله في خير ما دمتَ في جوار الكريم.

(73)

يا ولدي،

قد يُحسن الناسُ الظنَّ بك، كما كان ذلك مع أبيك. وما كان على شيء!

فإياك ثم إياك أن تغتر، وليكن لك في كل ثناءٍ دمعة، وفي كل ذِكرٍ توبة،

وفي كل سترٍ قُربة، وكن حذرًا ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (القلم:44 – 45).

(74)

يا ولدي،

خذها نصيحة مجرب..

إذا رُمتَ عملًا، ترجو به تميزًا، فلا تعتمدنَّ على الشبعى وقليلي الهمة، وليكن اعتمادك على كبيري الهمة، صغيري السن، وإن كانوا من ضعاف القوم، فإنهم ما خذلوا من اتكأ عليهم، ويكفي أنهم أتباع الرسل.

(75)

"نفسي أشوف وشك"

هكذا قلتَ لي بآخر مكالمة كانت بيننا!

ذكرتني جملتك هذه بما يكون في الآخرة، كيف لو لم تر وجهي في أهل الرضوان!

يا ولدي،

إن أكرمك الله وكنتَ ممن منَّ عليهم بجنته، فابحث عني بين أهلها، فإن وجدتني..

وإلا فاعلم أنه قد بلغنا أن المؤمنين يجادلون ربهم في إخوانهم يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار. فيقول اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم. فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم. لا تأكل النار صورهم.

لا تنس وجهي يا ولدي!!

(76)

يا ولدي،

أتدري!

إن بعض كتاباتي هذه لك، قد كنتَ صاحب فضلٍ عليَّ فيها، فإنها كانت سببًا في معرفتي بأفاضل كُثُر، قد وثقوا بي وبك وأحسنوا الظنَّ.

ولا أخفيك أنني أحدث نفسي ببِرّك لي فيها، وإنَّ كامل برك بي؛

أن تكون من أهل الجنة.

(77)

يا ولدي،

لا يحملنَّك حب الخير وحماسته على أن تتعهد أو تنذر ما لا تقدر على الوفاء به، لا سيما مع ملك يوم الدين، فإنه جَلَّ شأنه غنيٌّ عنَّا.

وإنَّا لنتلو في الكتاب عاقبة المعاهدين بلا وفاء ولا صدق﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ (التوبة:77)، ذلك أنهم عاهدوا الله ﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (التوبة:75، 76).

فالحذر الحذر، فإن العاقبة "إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ".

(78)

يا ولدي،

أتدري!

إن من بركة كتاباتي هذه إليك، أنني كلما كتبتُ حرفًا راجعتُ خلقي فيه، فكأنما المعنيّ ليس أنت وإنما أنا!

فإني أحمدُ اللهَ إليك، وأسأله العفوَ والعافية.

(79)

يا ولدي،

وإني وإن جمعتُ حروفَ الدنيا وكلماتها وجُمَلها ما وفيتُ فضلَ أُمّك عليَّ وعليك.

تلك التي حملتك يوم أن تكاسلتُ أنا، وأطعمتك يوم أن ضَجِرتُ

أنا، ونظفتك يوم أن أنفتُ أنا، وسهرت عليك يوم أن نمتُ أنا، واحتضنتك وقبَّلتك ولاعبتك وذهبتْ بك وجاءتْ!!

يا ولدي،

إنها ما إن رأتك إلا وابتسمت لوجهك الذي أنساها صراخَها- ألمًا- منك قبل قليل، بل أخذت تهون عليك مُدَاعِبةً لك، ناشرةً روحَ الأمان في كل أركانك!!

يا ولدي،

الزم قدميها.. فَثَمَّ الجنة.

(80)

يا ولدي،

وكفُّ الأذى عن الناس صدقة، وإنه لحفظٌ لك من الأذى..

وخذ عبرةً من ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ (المسد:4) كيف أورثت ﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ (المسد:5).

(81)

يا ولدي،

وعساك أن تتساءل عن أجمل شيء في الحياة!

وفي نظري..

إن أجمل شيء فيها.. هو ما كان بوقته

(82)

يا ولدي،

إن فتح الله لك في علم، فلا ترد أحدًا عنك، كبيرًا كان أو صغيرًا، فإنك لا تدري مَن ينبُل منهم فتُذْكَرٍ به!

(83)

يا ولدي،

ولا يشكر اللهَ من لا يشكر الناس.

وأرى أن لا تخص الشكر لمن أسدى إليك معروفًا يخصك كعادة الناس اليوم، بل فاشكر كلَّ من أسدى معروفًا لنفسه، كحرصه على قرآنه، أو على صلاته، أو على حسن تصرفه أو بره بوالديه أو...

فاحرص على دعم إخوانك، فإني أحلم أن أرى في الناس ذلك الشكر!

(84)

يا ولدي،

إنه أفضل منادى..

تناديه في فرحتك.. أن يديمها

تناديه في حزنك.. أن يصرفه عنك

تناديه في قسوة قلبك.. أن يكشفها ويزيلها

تناديه في رقة قلبك.. أن يرزقك الإخلاص

تناديه في طاعتك.. أن يعينك عليها ويتقبلها ويغفر تقصيرك فيها

تناديه في عصيانك.. أن يسترك ويغفر لك

تناديه في همك.. أن يصرفه عنك

تناديه في كل أحوالك..

يا ولدي،

ما أجمل أن تقول دائمًا.. يـــــارب.

(85)

يا ولدي،

نعم، ما كانت السعادة جمع المال!

بل إن السعادة كل السعادة في استغنائك بالخالق عن الخلق.

يا ولدي،

وأنَّى لك الاستغناء عن الخلق وأنت لا تملك ما يغنيك؟!

يا ولدي،

ما كان الاستغناء في ترك السعي! كيف؟ والغني يقول: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ (الملك: 15)!

فاسع فيما أحلَّ الله لك، فإن الغنى مع الطاعة رأس الاستغناء، وما كان حينها مذمومًا "إِنَّكَ أنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ».

(86)

يا ولدي،

البصير بربه لا يغتر بنفسه، ولا يأمن مكر ربه به!

يا ولدي،

قد حكى القرآن عن المعصومين أقوالًا، وهم أهل العصمة والبصيرة– منها ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم:35).

يا ولدي،

قد كان أكثر دعاء لخيرِ داعٍ للحق "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ".

يا ولدي،

قد قال الصِّدِّيقُ– ما أدراك ما الصديق– : "لو أن إحدى قدمي في الجنة ما أمنتُ مكر الله". وبنحوها قال الفاروق.

يا ولدي،

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ (الأنفال:24)

يا ولدي،

﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (الأعراف:99)

(87)

يا ولدي،

فلتعلم أنه يعظم على الحر أن يكون صاحب حق ثم يرضى بالضيم، بل يعز عليه أن يتسول حقه، بل لا تنشط نفسه لعمل لا يشكر فيه على جهده، ولا يعتني أصحاب هذا العمل بالسعي في توفير حقه، ولا ينشطون إلا عليه لا له!

لذلك يا ولدي،

جعل اللطيف الخبير لعباده ترغيبًا وترهيبًا، وجعل ثوابًا وعقابًا، وجنة ونارًا، ولحبه لخلقه ورحمته بهم ضاعف لهم الحسنة، وأمهل في السيئة، وعفا عما سلف، بل يبدله حسنات يثقل بها ميزان عبده!

ولتعلم كذلك يا ولدي،

أن كثيرًا من البشر خاصة أصحاب الأموال والأعمال لا يفقهون ولا يفهمون هذه الموازين، بل هم يتغافلون عنها بإصرار شديد، ثم هم يجلسون وينتظرون عملًا طيبًا مباركًا من عُمالهم!

ولا أدري حقًّا يا ولدي أنى ذلك؟! وهم يقتلون بذلك الإهمال والتغاضي كل بذرة خوف على العمل في قلوب من لا يأتيهم منه حقهم، إنهم بذلك يمسحون من قلوب عُمالهم كل ما كتبوه على جدران قلوبهم من حب لأعمالهم!

يا ولدي،

كيف ينشط العامل وهو يعلم يقينًا أنه لن يأخذ حق عمله؟

وإن تغاضى متعمدًا ضاحكًا على نفسه بأن يعذر صاحب عمله، فكيف له أن ينشط وبطنه خاوية؟!

كيف له أن ينشط وولده متعب ولا يملك له حق دواء؟!

كيف له أن يكون صاحب كرامة وهيبة، وقد أسقطها صاحب عمله فجعله- بإهماله- يسقط وجهه يتسول الناس؟ يعطوه أو يمنعوه!

كيف له أن يعز عليه سقوط أعمالهم وهم أنفسهم لا يهتمون؟!

يا ولدي،

ما كان للحر أن يمد يده إلا طالبًا حقه.

يا ولدي،

أعط الأجير حقه قبل أن يجف عرقه تكن تابعًا لمحمدٍ- ﷺ-.

(88)

يا ولدي،

ولا تحزن إن لم تُذكر اليوم في الدنيا عند أحد، ولا تتألم إن لم ترَ ثمرة ما تبذره أمام عينيك قبل أن تغمضهما للأبد.

غدًا..

ترى عند الله كل الخير، فقط أخلص له، حتى يصعد إليه طيّب عملك؛ فيبلغ عنك ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ (فاطر:10).

(89)

يا ولدي،

اثبت على الحق وإن كنت وحدك، بل إن حاربوك، فلا تتراجع، لا يمكنك فعل ذلك، ربما أمكنك أن تعرض عن الدفاع عنهم قليلًا ليذوقوا مرارة ما ذقته، إلا أنه لا يمكنك أن تهتز في ثباتك!

يا ولدي،

عادة الناس- في الغالب- أنهم لا يقومون بالمؤازرة السريعة لما أنت عليه من حق، ربما كان ذلك من خوفهم عليك.

وهذا ليس جديدًا، ويشهد التاريخ أن رجلًا كريمًا صادقًا تخلف يومًا عن الغزو، وما وسعه إلا قول الصدق، بين يدي نبي كريم، غير أن بعض قومه ظلوا وراءه يلومونه حتى قال: «هممتُ أن أعود فأكذب نفسي». رضي الله عن كعب بن مالك.

يا ولدي،

اعلم تمام العلم، أنه وإن طال الزمان، سيذكرونك يومًا ما: لقد كان مُحقًّا!

واعلم يا ولدي،

أن الأمر كله بيد الله، ولا يملك أحد لنفسه شيئًا، فضلًا عن أن يملكه لغيره، فاطلب حقك بعزة ويقين، واعلم أن الله لطيف بعباده، وأنه جل جلاله لا تأخذه سنة ولا نوم.

فاضرب بيدك اليمنى على قلبك، وقل له:

اثبت.. فإنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

(90)

يا ولدي،

ألا أدلك على سببٍ من أقوى أسباب السعادة؟

إنه العطاء.

يا ولدي،

العطاء كسْبٌ في حقيقته

تَـــرَاهُ إذا ما جِئْتَهُ مُتَهَلّلا كأنّكَ تُعطيهِ الذي أنتَ سائِلُهْ

يا ولدي،

أرأيت أجمل من بسمة يرسمها عطاؤك على شفاهٍ طال عُبوسها!؟

أسمعتَ عن شيءٍ أرقى من أملٍ تزرعه في نفسٍ يائسة!؟

يا ولدي،

ما كانت الدنيا في نظر أجدادك أغلى من لقمة توضع في فم أخٍ تكون سبب سعادته.

قال أحد أجدادك: "لو أنّ الدّنيا كلّها لي في لقمة، ثمّ جاءني أخ لأحببت أن أضعها في فيه".

يا ولدي،

العطاء. حياة!

(91)

يا ولدي،

لا تعمل إلا لله..

ضعها نصب عينيك، لا تتعب لأجل أحد، ولا تنتظر شكرًا من أحد، ولا تقديرًا ممن لا يعرفون قدرك. ولا يعرف قدر عباده إلا الله وحده. في مثل أيامنا هذه، ربما تعمل فيكون جزاؤك الإهمال، أو الترصد، فتخيل أنك لم تعمل لله، بل انتظارًا لتقديرهم؟

ثم كان هذا حالهم معك؟ حينها تموت قهرًا، فلا أجرت على عمل، ولا تركتَ سليم القلب؛ لذا، فإن العاقل لا يعمل إلا لله، فحين تنكرهم يكون عزاؤه أنه لم يعمل ليقال: قد عمل!

(92)

يا ولدي،

لا تغتر بما انتفخ أو علا صوته!

كثير من الأشياء حولنا خاوية الداخل!

وانظر في آلة الطبل.. إنها عالية الصوت، لكنها خاوية البطن، ليست إلا هواءً!

(93)

يا ولدي،

ولا يكون إلا ما قدره الله، فطب نفسًا، إنما هي إن طالت أو قصرت أنفاس بين تاريخين، ميلاد ووفاة!

(94)

يا ولدي،

هكذا هي الأيام..

ساعة في سرور، وأخرى في غير حبور..

لحظة تطلبُ أنت

وأخرى تُطلَبُ

لذا؛

فلا تطمعنّ أن يدوم لك الحال.

فإن دنياك تتقلب بك من حال إلى حال.

يومٌ لنا، ويومٌ علينا... يومٌ نُساءُ، ويومٌ نُسَرُّ

وفي الله رجاؤك أن يطيب لك المآل.

فمَنْ رجا اللهَ؛ فلا ضلَّ ولا ذلَّ ولا مال.

(95)

يا ولدي،

ضع التقوى نصب عينيك فيما تفعل، أو فيما يفعل غيرك بأمر منك.

يا ولدي،

لو أننا نموت فنُترك لكنا بالأعمال غير عابئين، ولطلبْنا الموتَ غير مبالين، لكنها أعمال تُكتب، وآثار تبقى ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡ﴾ (يس:12).

(96)

يا ولدي،

وما كذب رسول الله قط.

كيف؟ وقد عرفوه بالصادق الأمين!

فما عاداه من عاداه لكذبٍ صدر منه، وإنما كبرًا منهم وعنادًا!

وقد قال جدك عبدُ اللَّهِ بْنِ سَلامٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ: "فَلَمَّا رَأَيْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ".

فعش على ما عاش عليه نبيك، وكن صادقًا ".. فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا" وَإِيَّاكم وَالْكَذِبَ ".. فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا".

(97)

يا ولدي،

قد كان نبيك أطيب الناس روحًا ونفسًا، وكان أعظمهم خلقًا، وهو المزكَّى من رب العالمين.

نعم؛ فقد " كان خلقه القرآن".

ولم يكن فظًّا غليظًا حاد الطباع بل كان سهلًا سمحًا لينًا رءوفًا بأمته:.

واسأل البُردَ النجرانيّ، عن ذلك الأعرابي وجبذته وما فعلت من قسوتها. وما كان رده- ﷺ- إلا تبسمًا وعطاءً!

يا ولدي،

ما كان أقدر منه على الرد، إلا أنه ما قال إلا وفعل، وهو القائل: (من كظم غيظًا وهو يقدر أن ينفذه دعاه الله على رءوس الخلائق يوم القيامة، حتى يخيره في أي الحور العين شاء).

(98)

" إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد".

هكذا يا ولدي..

"أن تواضعوا".. وما كان أحد أشد منه- ﷺ- تواضعًا، بل كان عنوانًا لكل معاني التواضع!

وإن جنبات المدينة لتشهد: "إن كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إمَاءِ المَدينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ النَّبِيِّ – ﷺ –، فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءتْ". حيث شاءت!!

ويعود إلى وطنه منتصرًا، والذلة تعلو وجوه من أخرجوه وحاربوه وسبّوه وقتلوا أحبابه، إلا أن كريم الأخلاق ومتممها، دخل أحب البقاع إليه "وذقنه على راحلته متخشعًا".

هكذا يا ولدي كان رسولك!

(99)

يا ولدي،

لقد تغربت– كما تغرب كثير من الآباء مثلي– وذقت في غربتي ما لا يطاق، وإنما تحملت ما تحملته لأجلك أنت!

إلا أنني أعترف أنني أخطأت بذلك في حق نفسي، ومن ثَم في حقوقكم.

يا ولدي،

لا ترحل عن وطنك إلا فارًّا بدينك، وإن رغبتَ في رحيل وغربة لأجل حياة كريمة، فلا تخرج إلا عزيزًا مُكرَّما!

يا ولدي،

ولا تصبرنَّ على عملٍ به مذلة، أو ينقص فيه من أجرك، أو صاحبه لا

يتمتع بالمروءة، فتراه لا يعنيه: أأخذتَ حقك أم لم تأخذه!

يا ولدي،

يوم الغريب ليس محسوبًا عليه بالساعات والدقائق، وإنما بالدينار والدرهم!

يا ولدي،

إذا لم يكن صاحب العمل حريصًا عليه وعلى من فيه، فعلام تقتل نفسك من أجله؟!

يا ولدي،

قد أخطأتُ.. فلا تكرر خطئي يا ولدي، لا تكرره.

(100)

يا ولدي،

قد مرَّ أبوك بمحنة عصفت بالأخضر واليابس، إلا أنها كشفت عن أعظم منحة يُعطاها المرء، إنهم إخوان الصدق، فهم كما وصفهم جدُّك الفاروق بقوله: (زَيْنٌ فِي الرَّخَاءِ، وَعُدَّةٌ فِي الْبَلاءِ)

يا ولدي، عِشْ فِي أَكْنَافِهِمْ.

(101)

يا ولدي،

الأيام تمضي مسرعةً، حالها كحال الهارب من ملاحقه، لا يلوي على شيء، غير أنها أسرع هربًا، وأشد تمسكًا بما تنهبه من أعمارنا حال غفلتنا، فإذا ما انتبهنا كانت الحسرة أشد فتكًا، والذاهب لا يعود. ليتها تمضي وحيدة! يا ولدي، وحروفي هذه قد كلفتني من عمري ما كلفتني، آثرت بها أن أحفظ ما تبقى من عمري بك!

يا ولدي، كن يقظًا، وخُذ من يومك لغدك.

(102)

يا ولدي،

كان فيما يحكى أن سبب العداوة بين البوم والغربان كلمة تكلَّم بها غراب، جلبت عليه وعلى قومه ويلات وويلات، كان يسعه أن يصمت عنها، وأن يجنب نفسه عناء الندم والحسرة.

يا ولدي، لا أثبت في القلوب مِن كلمة طيبة فهي (**كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**)

يا ولدي،

ألم تر أنَّ شهادة الإسلام كلمة، والخروج منه بكلمة، وبناء بيت بكلمة،

وهدمه بكلمة، وكلمة ترفع صاحبها يوم القيامة، وأخرى تهوي بصاحبها في النار سبعين خريفًا.

يا ولدي، ألا ترى أنَّا تطيب خواطرنا منك بكلمة، وتغضبنا كلمةٌ، ربما لا يجبر كسرها ندمك وحسرتك وقد كنتَ غنيًّا عن ذلك كله لو لم تطلق لسانك بها!

يا ولدي، قد تطيب الآلام، إلا جرح اللسان فإنه لا يندمل.

يا ولدي، ملاك أمرك أن تكفَّ لسانك، قد أودعه اللهُ سجينًا لديك فلا تُطْلِقه!

يا ولدي، (**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**)

(103)

يا ولدي،

خلق اللهُ بني آدم جميعًا ضعفاء خطَّائين، وكان رحيمًا بهم، فلم يُغلق دونهم بابه، بل نادى من أسرف منهم نداءً رحيمًا كريمًا (**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**)، "يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة". فانظر.. أسرفوا ولم يطردهم، بل طمأنهم (**لا تَقْنَطُوا**) يا ولدي، ما كنتَ معصومًا، ولا لك على الناس درجة، كل ما هنالك أنَّ الله جمَّلك بستره عليك، فلا تغتر، وخذ بيد مَن وقع، فلربما وفقه الله لدمعة ندمٍ كان بها مع الفائزين.

يا ولدي، ما كان عليك حسابهم، ولا إليك معادهم، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، فاسأل الله الثبات، واحمد الله على العافية، ولا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك.

يا ولدي، للتائب فخر لا يعادله فخر، فرح الله بتوبته! فلتسعد بإخوانك، ولتغض الطرف، ولا تعير أحدًا بذنبه، ولا تكن عونًا للشيطان على أخيك.

(104)

يا ولدي،

هذه مائة من النصائح، أو يزيد، يسعدني التزامك بها، كما يسعدني اختلافك مع بعضها، فلستُ أحب لك تبعية عمياء، بل أحب لك أن تزن الأقوال والأفعال على ما يرضي الله ورسوله.

فإذا كان كلامي موافقًا لذلك الميزان فخذه بقوة، وإن كان مخالفًا فأعرض عنه غير مبال، ولا يمنعنك حبك لي أن تقبل مقولة الحق ولو كانت فيَّ!

يا ولدي،

وما قلتُه في أمر من أمور الدنيا فهو محض اجتهاد، فإن سبرتَ الدنيا وبدا لك غير ما أقول فلا ضير، فإني أسعد أنْ تركتُ خلفي رجلًا يُعْمِل عقله كما أمره ربه.

يا ولدي،

﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ (مريم:12)

خاتمة

وهنا.. أقف حامدًا ربي لي ولك، سائلًا ربي أن ينفعك بها خير نفع، وأن يصلحك وينصر بك.

فإني كنت أقول في دعائي وأنت في بطن أمك: اللهم ربِّــه لنا؛ فإنا لا نحسن.

وإني- ويعلم ربي وربك- ما رجوت منك قط شيئًا لنفسي، كل همي أن ينصر الله بك وكفى.

وما بقلبي لك لا ينتهي يا ولدي، إلا أني أكتفي بهذه القطرات عساها أن تنبت في قلبك ما أرجوه من خير.

ولا أنسى أن أنبهك يا ولدي، أنه ليس شرطًا أن تجد فيَّ ما هو موضوعٌ هنا، إنما الرجاء أن يجدَ اللهُ فيك ذلك.

وإني لمنتظر منك أثرًا لما كتبتُ هاهنا، تقول بلسان العمل..

يا والدي،

قد حفظتُ عنك.. رحمك الله من والد.